سلسلة اعلام الفكر العالمي

أوسكار وايلد

تأليف: سلمان التكريتي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
شارع نورنكا - بناية صمدي وصالحة
ص.ب: ٥٤٦٠ - تلفون: ٢٥٦١١٠
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧

لا اخفي شيئا عن القارىء العربي بعد ان اصبح هذا الكتاب بين يديه من الاشارة الى ما بذلته السيدة سهام جعفر الموسوي من جهود بمراجعتها معي اكثر النصوص التي قمت بترجمتها عن المراجع الانكليزية، فلتسمح لي ان اقدم لها شكري وثنائي العاطرين ، اما ان ظهرت اخطاء في الكتاب فلا يتحملها أحد سواي ٠

المقدمــة

ان تراث الفكر السياسي الذي كان قد اكتسبه اوسكار وايلد من بيئته ، لا شك لم يكن عديم الاثر في تكوينه النفسي والاجتماعي والسياسي • فان ايرلندا كانت وما زالت تعتبر نفسها مهضومة الحقوق بالنسبة لانكلترا • وهذا مــا خلق الروح الثورية عند الايرلنديين عامــــة • وليست السخرية والنقد الاجتماعي الا صورة من صور هذه الروح الثورية التي كان ابرز اشخاصها من الادباء والمفكرين برنارد شو وجيمس جويس ثم اوسكار وايلد • وبالاضافة الى ذلك فان ام اوسكار وايلد نفسها كانت شخصية سياسية وذات قلم سياسي سيال• وليس من المعقول ان لا تترك اثرا في ذات اوسكار وايلد ، كما ان صديقه وقرينه وابن مدينته برنارد شو لعب دورا في التاثير على فكر اوسكار كما كان لجون راسكن (١٨١٩ ــ ١٩٠٠) مثل هذا التاثير لكثرة ما كان يرتاد مع برنارد شو المحافل السياسية الاشتراكية بصورةخاصة علما ان برناردشو كان عضوا في الجمعية الفابيةـــ ذات الافكار الاشتراكيـــة التدرجية • لكننا نعرف ايضا ان المذهب الرومانسي الــذي تزعمه في تلك الفترة اوسكار وايلد ، انما هو ايضا صورة

من صور نقد الواقع وفضح الطبقات المترفة ما بين اقطاعية ورأسمالية وبورجوازية من ناحية ، والطموح الى مجتمـــــع انساني مثالي الذي كان الادباء يبحثون عنه في ثنايا النفس الانسانية وبمواقف الانسان العاطفية الخالدة ٠٠٠ الحب ٠٠٠ الاخلاص ٠٠٠ التضحية ، التي قد تنتهي بمواقف ميلودرامية رفيعة ونبيلة وعميقة الفاجعة من ناحية ثانيـــة ٠ وكامتداد للادب الرومانسي ، ظهر المذهب الرمزي ومذهب الادب للادب على غرار مذهب الفن للفن ٠ وقد وقع خلط كبير بين المذهـــب الرومانسي من ناحية ومذهب الادب للادب ٠ ولكن حتى وان اختلفت اهداف هذين المذهبين الادبيين ، الا ان التشابـــه الموجود بينهما في مهمة البحث عن الجمال وابرازه وتمثيله هو الذي اوقع في هذا الفهم ٠ وقد يكون من الضروري جدا ان نعلم ان مذهب الفن للفن قد اشتدت دعوته في اواخر القرن التاسع عشر وبصورة خاصة بين عامي ١٨٧٠ و١٨٨٦ ٠ وقد نادى جماعة هذا المذهب الى الرجوع بالادب والفن الى ما قبل الرفائيلية ٠ وقد لا نغالي اذا قلنا ان الرمزية التي ابتدعها ابسن (١٨٢٨ ـ ١٩٠٦) كانت لخدمة الحياة والمجتمع ٠ وهي لذلك لم تكن عند مؤسسها في العصر الحديث مقاومة للمذهب الواقعي ولا رد فعل له ٠ لكن الرموز التي يستعملها الاديب لا شك هي باعث للصور الجميلة والافكار الغامضة التي يحسها القارىء من ناحية ، والناقد من ناحية ثانية ، انها سقوط في نظرية الادب ، لانها تمثل الجمال، وتمثل الحقائق غير الواقعية، والمثل التي لا علاقة مادية لها ٠ والمتأمل لحياة الادباء الرمزيين

بدءاً من اكبر ممثل للرمزية وهو الاديب المسرحي النرويجي ابسن ثم ادجار آلان بو (١٨٠٩ ــ ١٨٤٩) ورامبو (١٨٤٢ ــ ١٨٩٨) وموريس مترلنـك (١٨٦٢ ــ ١٩٤٩) وانطـوان تشيمخوف (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤) وليونيد اندرييف (١٨٧٠ ــ ١٩١٩) ومالارامية (ــ) وفيرلين (١٨٤٤ ــ ١٨٩٦) ثم اوسكار وايلد (١٨٥٦ ــ ١٩٠٠) ، فانه سيجد ان اللجوء الى الرمز ، انما هو الخوف من الاعلان ، والمجاهرة بالمعارضة ، خاصة اذا كان المجتمع محافظا من ناحية، وسلطته ارهابية من ناحية ثانية ، فيضطر الاديب الى الرمز واللغـز او الغموض ، ليتمكن من التمويه على المتتبع او الرقيب ، وحتى يأمن ايضا غائلة العقاب والوقوع تحت طائلة القانون الذي يستغله اصحاب النفوذ ، ليضطهدوا هؤلاء الاحرار الذيـن يدافعون عن طبقات الشعب المسحوقة والمستغلة ، ويحمون القيم والمثل الانسانية النبيلة التي تحقق شرف الانسان وكرامتـه ٠ فالرمزية هي وسيلة من وسائل نقد المجتمع والتبشير بالآراء الخيرة ومهاجمة تناقضات المجتمع والتشهير بها ٠ والكتابات الرمزية لم تكن في رأي الكثير من الرمزيين الا محاولة في انقاذ الادب من الآنية ، وجعله للعرض في كل زمان ومكان ٠ وهذا هو الذي ادى من ناحية ثانية الى الوقوع في مذهب الفن للفن ، الذي يرفض انصاره ان يكون في خدمة المجتمع ، بل ليس خدمة اي شيء ما خلا خدمة الفن ذاته ٠ اما اوسكار وايلد ، فقد كان متناقضا في الوقت نفسه ٠ فبينما كان يحمل بذور الفكر الاشتراكي والروح الثورية والنقدية الاجتماعيـة

التي ورثها عن المجتمع الايرلندي ، كما ظهر ذلك عنده في مسرحيته المعروفة بعنوان « العدميون أوفيرا » ، وفي عدد من اقاصيصه القصيرة مثل (المارد) الاناني · وكان اوسكار ايضا يمثل النزعة الانسانية المثالية التي تعتمد العاطفة الذاتيـــة والمواقف المأساوية كما في قصته الرومانسيـــة (العندليـب والزهرة) · فالاهتمام بهذه الامور العاطفية النبيلة والانسانية الخالدة والنقدية الاجتماعية قد تشفع لاوسكار وايلد باعتباره قد حقق موقفا انسانيا خالدا · لكن لانه كان يعيش في بيت بورجوازي ، والده طبيب ، وامه مثقفة ولم يتعرض الى حياة البؤس والشقاء اللذين يورثانه الفاقة والعوز ، بل كان يـرى الدار التي يسكنها مع والديه تعج في بعض الاماسي من كل اسبوع بصنوف الناس المثقفين واصحاب المراكز الاجتماعية المرموقة ، والسياسيين والادباء والفنانين · فهو لم يتعرف عن قرب الا على الحياة المترفة ، ولم يتعرض للمشكلات التـــي يتعرض لها ابن الشعب البسيط الذي يمارس العمل وهو طفل ويتعرض للمخاطر المهنية والحرفية وهو صبي او شاب ، خاصة بعد ان ذمت الحياة الصناعية في انكلترا وامتد الانقـــلاب الصناعي الى كل مكان فيها ، حتى غطى دخـــان المصانـــع سماوات القرى والارياف · ولم تكن انكلترا تختلف في التطور الاقتصادي عن فرنسا التي اندلعت فيها عدة ثورات سياسية بسبب البون الشاسع في الحياة المعاشية للطبقات الاجتماعية ، ان لم تكن انكلترا قد سبقت فرنسا بالانقلاب الصناعي الذي يؤرخه علماء الاجتماع بعام ١٧٦٠ · ونتيجة للتطور الذي

حصل في ميدان الحياة الصناعية وتطور وسائل الانتاج وتنامي رؤوس الاموال • فـــان آثاراً جديدة ظهرت عـــلى الحياة الاجتماعية ، فقد تنامت الطبقة العاملة ، وظهر عند افرادها التخصص الذي يمثل مرحلة جديدة في دقة عملية الانتـــاج وسرعتها • لكنه من ناحية ثانية تمثل اقسى عملية استغـلال تمارسها الطبقة الرأسمالية التي سيطرت على وسائل الانتـاج في الدول المتطورة • وقد كانت بريطانيا بالذات تعج بالمشكلات الاجتماعية الجديدة التي نتجت عن تطور الحياة الاقتصادية نتيجة الانقلاب الصناعي ، ورسوخ الصناعة ذات الانتـــاج الكمي جماعيا ، واستقلال المرأة وتفتيت الاقطاعية ، وتحول رؤوس الاموال الزراعية الى رؤوس اموال صناعية وعقارية ، وقضت المصانع الكبيرة على الورشات الصغيرة والمانيفاكتورات وظهرت الكارتيلات والتروستات ، وغزا الاسطـول البحـــري البريطاني الاسواق العالمية ، يبحث له عن مستعمرات يستنفد مواردها الاولية ومخزونات خاماتها الطبيعية • واخذت الطبقة الرأسمالية تثري على حساب الطبقات الفقيرة المتمثلة بطبقتي العمال والفلاحين سواء في البلد نفسه ، ام فـــي البلـدان المستعمرة • وبدأت صرخة الادبـاء والمفكريـن ضد الحياة الجديدة • فاعتبرها العديد من هؤلاء المفكرين مناقضة لانسانية الانسان ، ونادوا بضرورة العودة الى الطبيعة وحياة البساطة، وثار عدد آخر منهم ضد هذه المظاهر الحديثة التـــي خلفها الانقلاب الصناعي • فظهر في مطلع القرن التاسع عشر كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) في المانيا الذي كتب اكثر مؤلفاته

الاقتصادية وفلسفة الاشتراكية في انكلترا ، وهو على علاقة حميمة بصديقه فريدريك انجلز · ودعا هذان المفكران الى ثورة اشتراكية تستلم فيها الطبقة العاملة مقاليد السلطة· وبالاضافة الى ذلك فقد ظهر في هذه الفترة ايضا مفكرون وفلاسفة ومنظرون آخرون آمنوا بالاشتراكية ودعوا لها ، لكنهم آمنوا باشتراكية انسانية وليست اشتراكية علمية ، سان سيمون (١٧٦٠ ــ ١٨٢٥) وشارل فورييه (١٧٧٢ ــ ١٨٣٧) في فرنسا وروبرت اوين وبرودون في انكلترا · وقد كانت هذه الاشتراكيات اشتراكيات اصلاحية تدرجية ، قد يكون حزب العمال في انكلترا اخذ شيئا من هذه الفلسفة التدرجية في نقل البلاد من حالة سيئة الى حالة حسنة دون احداث تغير طفروي مفاجىء · وعلى هذا الاساس تألفت الجمعية الفابية ، التي اختطت لها فلسفة تدرجية لاصلاح المجتمع،وكان من زعماء هذه الجمعية سيدني وبياتريس ديب وهـ·ج· ويلز وجورج برنارد شو ·

كانت اوروبا في غمار احداث هذا القرن ــ التاسع عشر ــ تمر بمخاض اعصاري شديد ، بفعل الابنية الجديدة التي اخذت تظهر في انظمةالحكم ، فبدأ الميزان الطبقي في المجتمع الاوروبي يتغير ، بعد انتقال هذا المجتمع من الحياة الزراعية الاقطاعية الى الحياة الصناعية الرأسمالية · فازدحمت المدن، وهجرت العوائل الريف ، وغصت غرف العمارات بالفقراء ، واكتسح المدارس ابناء العمال وتنامت الحياة الاقتصادية ،

وتركزت الثروات بيد اعداد ضئيلة من الصناعيين الذين تحولوا الى رأسماليين ، احتلوا مكانة الاقطاعيين ونبالتهم ٠ واشتد التناقض من جديد بين طبقات المجتمع المتعددة ٠ وبعد ان كان الصراع مريرا بين طبقة الفلاحين من ناحية وطبقة الاقطاعيين من ناحية ثانية ظهر صراع جديد بين طبقة العمال في الحياة الصناعية الجديدة وطبقة الرأسماليين ٠ ولكن بالاضافة الى الصراع السلمي الذي وقع في المجتمعات الصناعية المتطورة ، فقد نشبت الثورات العاتية في مجتمعات اخرى ، مع ان التطور الصناعي لم يبلغ مرحلة مجتمع انكلترا الذي سبق تلك المجتمعات بالانقلاب الصناعي ٠ ففي فرنسا اندلعت في اواخر القرن الثامن عشر الثورة الفرنسية ١٧٨٩ التي قوضت عروش الملوك ومرغت تيجان الملكية وهدت سجن الباستيل معقل طغيان النظام الملكي ، وفي عام ١٨٤٨ قامت ثورة شباط البلانكية ، نسبة الى المفكر بلانك (لوي اوغست) ١٨٠٥ ـ ١٨٨١ الشخصية المشهورة في الحركة العمالية في اواسط القرن التاسع عشر ، الذي رفض مبدأ المنافسة الحرة ، وحرية الصناعة ، وعدم التدخل فيها ، واصدر صحيفة (الوطن في خطر) ٠ وقد تسلمت قيادة ثورة شباط البلانكية الطبقة البورجوازية (المتوسطة) كما تسلمت سابقتها الثورة الفرنسية ٠ وفي عام ١٨٧١ قامت اول ثورة اشتراكية في التاريخ بقيادة الطبقة العاملة ، تلك هي كومونة باريس ، وقد ساند هذه الثورة المثقفون الثوريون وساهموا في النضال من اجل حمايتها ٠ وقد تسلمت الطبقة العاملة السلطة فعلا لمدة

شهر واحد ، لكن تدخلت جميع القوّى الرجعية في الاقطار المجاورة لخنق هذه الثورة والاجهاز عليها ، فاسيلت دماء العمال التي اختلطت بدماء المفكرين والادباء والمثقفين الثوريين الاشتراكيين ، وضرجت شوارع باريس ولطخت جدران بيوتها ٠

ان هذا الاستطراد الذي اندفعنا اليه ، يقودنا الى القول ان الفكر الانساني متصل زمنيا مثلما هو متصل مكانيا ، فلا تفصله حدود الارض الطبيعية من جبال وغابات وانهار وبحيرات وبحار ، كما لا تفصله آنات الزمان والقرون ٠ فلقد توالت الثورات في العالم منذ ثورة العبيد في روما بقيادة سبارتكوس ، والثورات العربية التي تمثلت بظهور الاسلام - في الوطن العربي - ضد تراكمات الجاهلية الجهلاء والعبودية والاسترقاق ثم ثورة الزنج والقرامطة ، وحتى ثورة الدويلات الايطالية بقيادة غاريبالدي لتوحيد ايطاليا ، وثورة توحيد المانيا بقيادة بسمارك باعتبار ان الوحدة هي الحالة الصحية والصحيحة ، والتجزؤ هو الحالة المرضية والخاطئة : ولم تنفصل هذه الثورات عن ثورة اليونان ثم الصرب والعرب ضد الامبراطورية العثمانية في اوائل القرن العشرين ، كما لم تنفصل عن الثورة الفرنسية مع سيطرة الطبقة البورجوازية التي جعلت من الطبقة العاملة وسيلة الثورة ووقودها ، او ثورة شباط البلانكية او كومونة باريس ٠ وقد كان الادباء والمفكرون وراء هذه الثورات يغذونها بافكارهم وثورتهم ونضالهم ولا يبخلون حتى بدمائهم ، فكم من مفكر واديب قاسى مرارة النفي والتعذيب والسجن والتشريد !! وكم

من ادباء وصلوا اعواد المشانق او كادوا ٠٠ فقد وقف رامبو وفيرلين (١٨٤٤ ـ ١٨٩٦) الى جانب كومونة باريس وانشدا لها مثلما انشد قبلهما روجيه دو ليل للثورة الفرنسية بنشيد المارسيليز المشهور ٠ ومثلما تعرض دستويفسكي (١٨٢١ ـ ١٨٨١) الى عذاب النفي والتشريد بعد ان انقذ من حبل المشنقة لثوريته ووقوفه الى جانب الحركة الثورية ضد الطغيان القيصري في روسيا في القرن التاسع عشر ، وقف ايضا اللورد بيرون (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) الى جانب الثورة اليونانية ضد الامبراطورية العثمانية حتى قتل برصاصها ٠ ومثلما كان القرن الثامن عشر قرن الانقلاب الصناعي ، كذلك كان قرن الثورة العلمية ، فقد ظهر في هذا القرن جيمس واط (١٧٣٦ ـ ١٨١٩) وادموند كارترايت (١٧٤٣ ـ ١٨٢٣) في انكلترا واميديو اوفاكادرو (١٧٧٠ ـ ١٨٥٦) في ايطاليا واندريه امبير (١٧٧٥ ـ ١٨٣٥) وارثور موران (١٧٩٥ ـ ١٨٨٠) في فرنسا ، وظهرت مصانع السلاح المدمر لقمع حركات الشعوب التحررية ونهب خيراتها ٠ فلم يكن الادباء بعيدين عن هذا ، اذ انهم في ثوراتهم الادبية والمفكرون في ثوراتهم الفلسفية والفنانون في ثوراتهم الفنية الا محاولين قلب المفاهيم البالية ٠ فكانت فلسفة عمانوئيل كانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) النقدية ثم فلسفة هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) الديالكتيكية وفلسفة اوجست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧) الوضعية الذين انزلوا الفلسفة من السماء الى الارض كما فعلت قبل خمسة وعشرين قرنا من هذا

الزمـــان او قريبـــا من ذلـــك الفلسفـة السوفسطائيـــة في انزال الفلسفة من المثال الى الواقع بفكر انكساغوراس (٥٠٠ ق٠م٠ ــ ٤٢٨ ق٠م٠) وبروتاغوراس (٤٨٠ ق٠م٠ ــ ٤١٠ ق٠م٠) السوفسطائيين ، فكانت ايضا ثورات في الادب والفن ، فثار الادباء والفنانون على المذاهـــب التقليديـــة (الكلاسيكية) وظهر المذهب الرومانسي الذي مثله بيـــرون وكيتس (١٧١٥ ــ ١٨٢١) وشيللي (١٧٩٢ ــ ١٨٢٢) في انكلترا واناتولي فرانس (١٨٤٤ ــ ١٩٢٤) ولامرتين (١٧٩٠ ــ ١٨٦٩) في فرنسا الذي ما ان نما وترعرع حتى ظهر المذهب الطبيعي ثورة على الرومانسية ونقضا لها ، في ادب اميل زولا (١٨٤١ ــ ١٩١٩) وستاندال (١٧٨٣ ــ ١٨٤٣) وميرميه (١٨٠٣ ــ ١٨٧٠) والكسندر دوماس (١٧٦٢ ــ ١٨٠٦) وشاتوبريان (١٧٦٨ ــ ١٨٤٨) في فرنســـا وولتر سكوت (١٧٧١ ــ ١٨٣٢) وجين اوستن (١٧٧٥ ــ ١٨١٧) واميلي وشارلوت برونتي (١٨٢٦ ــ ١٨٥٥) في انكلترا وفي الواقعية النقدية عند ككول (ــ ١٨٥٢) في روسيا ، وقد تطور هذا المذهب الى الواقعية الاجتماعية في ادب تشارلز ديكنـــز ١٨١٢ ــ ١٨٧٠) وتوماس هاردي (١٨٤٠ ــ ١٩٢٨) وجاك لندن (١٨٧٦ ــ ١٩١٦) في انكلترا وفكتور هوغو (١٨٠٢ ــ ١٨٨٥) في فرنسا ودستويفسكي (١٨٢١ ــ ١٨٨١) وتولستوي (١٨٢٨ ــ ١٩١٠) تشيخوف (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤) وغوركي (١٨٦٩ ــ ١٩٣٦) في روسيا ٠ فهؤلاء الادباء ظهروا ثورة ضد المفاهيم التي كانت تخدم الطبقة البورجوازية باعتبار

الادب غذاء لهذه الطبقة وافرادها • فوقف هؤلاء الادباء مع الطبقات المسحوقة التي انحدروا منها او التي يمثلونها فعلا ، خاصة وان اكثرهم من الفئات البورجوازية التـــي تتعرض للاضطهاد الاجتماعي والقهر الاقتصادي الذي يفرضه عليهـــم المجتمع الرأسمالي الذي نما وتكامل استغلالا بعد فتح الاسواق التجارية وتنامي رؤوس الاموال ليس الى حد البطر بل الى حد التضخم والتعرض الى هزات عنيفة وازمات خانقة • فأخـــذ الفكر الاشتراكي يلعب دورا في الثورات السياسية ، وغالبا ما كان يتغلغل في الادب والفن • لكن لان الطبقات الرأسمالية والاقطاعية والبورجوازية ما زالت هي التي تسيطر على الحياة الاجتماعية ، وتستغل الطبقات المستضعفة وتحـــرك التيارات السياسية ، فقد ظهر ادباء من هذه الطبقات كانوا يتعاطفون مع الحركات الانسانية التي تعمل على تحرير الانسان من ظلم اخيه الانسان ، الا انهم لم يتمكنوا من اعلان هذه الثورة صريحة جريئة ، فانحازوا عن غير علم الى مذاهب ثائرة ، لكنها ليست ثورية تمثلت في مذاهب الادب للادب والفن للفن ثم المذهب الرمزي • وكان على رأس هؤلاء الاديب النرويجي هنريك ابسن ، وبودلير (١٨٢١ ــ ١٨٦٧) في فرنسا • وظهر في خضم هذا الصراع اوسكار وايلد الـــذي نشــــأ نشأة بورجوازية في بيت مثقف بورجوازي • ومع ان امه جيـــن فرنسيسكا (سبيرانزا) (١٨٢٤ ــ ١٨٩٦) كانت قومية ثورية تعمل في الحركة الايرلندية القومية ضد الاضطهاد الانكليزي ، الا انه لم يتمكن من الانغماس في هذا الميدان ، ولو انه كان

وقع تحت تأثير صديقيه جون راسكين وبرنارد شو ، فكانت روحه مع هؤلاء حتى انه كتب بحثا في موضوع الاشتراكية التي اوشك على الايمان بها · ولا شـــك ان عفن الطبقة الارستقراطية وتفسخ الطبقـــة البورجوازية اللتيـن كانتـا تحتضنان الادباء والفنانين ، هي التي افسدت ايضا هؤلاء الادباء والفنانين · فسرى هذا التفسخ الخلقي في الحيـــاة الاجتماعية للطبقة البورجوازية ، الى المثقفين الذين كانوا يحاولون التشبه بحياة افراد هذه الطبقة المتفسخين ، وقد تفسخ فعلا اكثر هؤلاء المثقفين نتيجة اتصالهم الوثيق او ارتباطهم الحميم بهذه الطبقة · فاذا باوسكار وايلد ابن هذه الطبقة وضحيتها ايضا ، اذ هي التي قادته الى تكوين العلاقة القذرة بصديقه الحميم الفرد دوغلاس التيكانت نتيجتها سجناوسكار لمدة سنتين ، خرج بعدهما مهيض الجناح كسير الخاطر ، فاتر النفس ، ضعيف الجنان ، خائب الامل بكل ما يحيط به ، حتى انه لم يتمكن من ان يمسك القلم بعد خروجه من السجـن ويخط عملا ادبيا جديدا سوى قصيدته المعروفة انشودة سجن ريدنك جيل) · وفي السجن جرحت ذاته ، اذ وقعت تحـــت ارهاصات السجن الانفرادي ، فخبت في نفسه روح الابداع ، ولكن لم تتحطم روح الغرور والاستعلاء اللذين اشتهر بهما ، مع ان عواطفه الانسانية في حبه الخير الانساني ظل بارزا في سلوكه · ومع كل ذلك ، فهو بعد ان خرج من السجن ، اذ به شخصية اخرى خاصة بعد ان انتهت عـــلاقته بزوجته بالطلاق ، وقبل ان يخرج من السجن ، فحرم من رؤية زوجته،

كما حرم من رؤية ولديه اللذين لم يكحل عينيه برؤيتهما منذ ان دخل السجن عام ١٨٩٥ حتى لفظ انفاسه الاخيرة ، وهو في منفاه الاختياري ـ باريس ـ بعيدا عن ارض الوطن ٠

ان اوسكار وايلد شخصية أدبية فذة ، وهو لم يجن بحق المجتمع بقدر ما كان ضحية ذلك المجتمع البورجوازي الذي وقع تحت سيطرة كوابيس وازمات رأس المال، وبالاضافة الى ذلك فهو فريسة اضطهاد هذا المجتمع ، علما انه اقرب الى المرضى منه الى الاسوياء ، وحالته اقرب الى المرض منها الى الصحة ٠ وان شذوذه كان يحتاج الى علاج واستشفاء اكثر مما يحتاج الى ردع وعقاب ناهيكم عن التعذيب والاذلال اللذين تعرض لهما داخل جدران السجن وفي زنزانة بائسة كئيبة ٠ وقد اعترف اوسكار نفسه بذلك ٠ اما السجن الذي كان جراءه ، فهو اخر درجات الامتهان البشري والقهر والاحتقار الذي لا يستحقه اي انسان بل الشاعر او الاديب ٠ فالسجن لا ينقي النفوس بقدر ما يهزها ، ولا يعلي الذات بقدر مـــا يحطمها ، ولا يطهر الروح بقدر ما يذلها ٠ وكما يترك السجن من الانسان محطما مهزوزا ، كذلــك تــرك السجن اوسكار وايلد محطما مهزوزا خاب امله ، حتى عزف عن الكتابـــة والتاليف ، فمات بائسا فقيرا ٠

سلمان التكريتي

الفصل الاول

اصل اوسكار وايلد

لقد روي الكثير ، وسجلت الكثير من الكتب قصــــة حياة اجداد اوسكار وايلد ، الا ان ما يهم القارىء الــــذي يحب اوسكار وايلد ، هو التعرف على مؤلفاته ومسرحياته . ومع ذلك سنحاول القيام بعملية كشف امام القارىء عـــــن الكثير عن حياته العائلية ، خاصة بالنسبة لذلـــك القارىء الذي ليست لديه اية فكرة عن اصله وثقافته . وان العــدد الوفير من قراء مؤلفات اوسكار وايلد ، لم يعرفوا انه كان متزوجا ، وقد انجب ولدين قتل الاكبر « سيريل » في الحــرب العالمية الاولى بيد قناص الماني ، وما زال الابن الاصغــر على قيد الحياة حتى هذه الايام وهو « فيفيان هولانـــد » . وبالاضافة الى ذلك فان القراء لا يعرفون اشياء اخرى عــن حياته ما خلا قضيته الخلقية الشهيرة التي انتهت به الـــى السجن لمدة عامين . ويمكننا ان نقول بهذه المناسبة ، انـــه حينما كان يقرر الاباطرة الصينيـــون تكريـــم الانســـان وتعظيمه ، فانهم يذكرون اسلافه الى عدد معين من الاجيــال

حسب درجات التكريم التي يريدون افاضتها عليه • لكـــن هذا التكريم لا ينتقل الى احفاده •

ان اسم « وايلد » من اصل هولندي ، اذ ان هنـــاك العديد من عوائل « وايلد » في الاراضي المنخفضة حتى هــذا اليوم بهذا الاسم • وان « وايلد » الايرلندي الاصل هــــو الكولونيل « دي وايلد » ابن « جان دي وايلد » الفنـــــان الهولندي الذى ما زالت قاعــة « هــاك آرت غاليري » تحتفظ بعدد من لوحاته • وهذا الضابط الذي عرف باســـم « دي فايلد » كان جنديا حالفه الحظ حين قدم خدماته لملك انكلترا « وليم الثالث » فلعب دورا بارزا في معركة « دورغيدا » في الاول من تموز عام ١٦٩٠ ، وحينما خاب وتحطم طمـــوح الاسكتلنديين في العرش الانكليزي نهائيا • ولدوره في هذه المعركة منح الكولونيل اقطاعيات في « كونوت » • وتبعـــا لذلك سقطت لفظة « دي » من اسمه • وفي هذه الاثنـــاء تزوج امرأة ايرلندية • وبالتناسل المستمر عبر الاجيـــال اصبح وايلد ايرلنديا يتمتع باصالة اكثر مما يتمتع بهـــا الايرلنديون انفسهم •

ان القصة التي تحدد اصل « الوايلديين » تؤكد انهـــم قد انحدروا من مقاطعة « ولسنكهام » التي تبعد بمقدار (١٢)

اثني عشر ميلا الى الشرق من « دورهايم » ، لكنها ــ اي القصة ، وردت مضطربة المضمون والاسماء · فان « رالف وايلد » يفترض ان يكون قد ذهب الى ايرلندا في مطلع القرن الثامن عشر ، واشتغل « بناء » في « دبلن » · لكن هذا الامر مشكوك في صحته · فان اسم الجد بلا جدال هو « دي وايلد » · وهذا اللفظ قد ارتبك في اللهجة الشعبية الايرلندية ، بحيث كانت النتيجة ان انقلب اسم « دي وايلد » بسرعة الى « البناء » · وهناك دليل آخر لهذا الامر ، هو ان « ابن البناء » الدبلني كان يدعى ايضا « رالف » وهو الذي اصبح وكيل اللورد « ستاند فورد » ، في « كاستليريا » في مقاطعة « روسكومون » · ولكن ليس من احد من غير جيرانه يمكن ان يحتلوا هذه المكانة · والحقيقة هو ان «رالف وايلد» الذي اصبح وكيل اللورد « ستاندفورد » هو الوحيد الذي يحمل هذا الاسم ، وهو الذي انحدر من صلب الكولونيل الهولندي الذي كان يقيم في مقاطعة « كونوت » ·

اما المسألة الوحيدة التي يمكن ان يعتبر ابن اوسكار وايلد « فيفيان هولاند » نفسه انه قد اكتشفها عن نظرية « ولسنكهام » فهي وجهة نظر « آر · روبرت شيرارد » الذي ادعى ان مصدر اسم وايلد هو كما روت السيدة وايلد نفسها · والذي لا شك فيه انها مقتنعة بهذه القصة ــ التي قد تكون قد اخترعتها ــ وهي تنتهز كل مناسبة لازاحة النقاب الذي اسدل على وجود الكولونيل الذي تعتبره حامي

بلدها ، كجندي في جيش الملك وليم ·

وبعد فترة وجيزة تزوج « رالـف وايلـــد » الآنسة « مارغريت اوفلين » من مقاطعة « كالوي » · و « اوفلين » هي عائلة كاثوليكية روسكوفونية · والفتاة « مارغـــريت » كانت وريثة هذه العائلة · و « الوايلديون » كانوا يعتنقـون المذهب البروتستانتي · ومع انه لا يمكن التكهن في كيفيـة تمكن هؤلاء من التوفيق بين اختلافاتهم المذهبية ، لكنه مـن المحتمل ان يكون « رالف وايلد » قـــد اعتنـــق المذهـــب الكاثوليكي · ولا شك انه قد لاقى الصعوبات الكثيرة حتـى تمكن من الزواج من الآنسة « مارغريت اوفلين » · وهـــذه السيدة انجبت له ثلاثة اولاد ، فاز احدهم بوسام « بيركلي » الذهبي لتفوقه في الاغريقية في كلية « ترنتـــي » بمدينـــة « دبلن » وهو الوسام الذي فاز به « اوسكار وايلد » ايضـا بعد قرن تقريبا · اما الولد الآخر فقد رحل الى جزيـــرة « جامايكا » ، بينما يكون الولد الثالث ، وهو المعروف باسم « توماس وايلد » هو ابو اوسكار وايلد · وهذا هو الـــذي يكمل الجزء الآخر من القصة في « دورهام » ·

★★★

لقد تقرر ان يكون « توماس وايلد » طبيبا ، لذلك ارسل الى « دورهام » ليصبح طالب الطب ، الآن « دورهام » كانت آنئذ ذائعة الشهرة في الجزيرة البريطانية من ناحية التعليم الطبي · وفي تلك الايام كان تشريح جثث الموتى محرما مـن

الناحية الدينية ، لاعتقاد الناس ان كل انسان يبعث من جديد يوم القيامة · وهكذا كان مستحيلا على طلاب الطب الانكليز ان يحصلوا على جثث الموتى ليقوموا بتشريحها · لذلك فان كل طالب كان يصل مدرسة طب انكليزية وقد جلب معه جثة ميت ، لا يستقبل بحفاوة بالغة فقط ، لكنه ايضا كان يعفى من اجور التعليم المفروضة · وتوماس وايلد الذي ذهب لدراسة الطب في « دورهام » كان قد اصطحب معه جثة ميت حصل عليها بطريقة ما في ايرلندا لتكون جواز دخول الى الكلية للتخلص من دفع الاجور · والظاهر ان الناس في تلك الايام لم يكونوا حساسين ولا يقرفون من الروائح الكريهة ، فلم ينتبهوا الى رائحة الجثة التي كان يصطحبها توماس وايلد معه · وحينما تخرج توماس وايلد في كلية الطب ، عاد الى ايرلندا حيث اقام كطبيب ريفي وحيث تزوج الآنسة « اميلي فين » ·

في هذه الحقبة عادت العائلة الى المذهب البروتستانتي ثانية · وهذا ما عزز موقف « الوايلديين » خاصة وان والد السيدة « اميلي » السيد « جون فين » كان من الارستقراطيين الايرلنديين في مقاطعة « مالو » الذي يرتبط بالعوائل المعروفة في مقاطعة « كونوت » · وقد كان اوسكار وايلد فخورا جدا بروابطه بهذه العوائل امثال « سوررج » و « اوزيلي » التي سجلت لها مراكز ممتازة في الدبلوماسية والعسكرية · وكان « الفينيون » انفسهم على اقل تقدير

غريبي الاطوار كما قال السيد « تي ·جي ·ولسون » في كتابه عن توماس وايلد تحت عنوان « الطبيب الفكتوري » :

« ان المسافة بين العبقرية والجنون قليلة جدا · والفينيون بدون شك لم يكونوا ذوي استقرار عقلي · ومما لا شك فيه ان الكثير من خصال عائلة وايلد ، وربما اكثر عبقريتهم تعود الى الصفات التي تسري في دماء الفينيين » ·

وكان توماس وايلد يتمتع بشكل جذاب ، بحيث جعله محبوبا ومحترما في الريف الذي يحيط « بكاتيلويا » حيث كان يعمل · ويمكن ان نعود الى ولسون الذي يقول :

« كان توماس وايلد يعالج كل من في الريف من الفقراء والاغنياء والفلاحين والقسس والاقطاعيين على حد سواء · وكان يعالج هؤلاء طيلة حياته · وهو يقوم بذلك متنقلا من بيت الى بيت على حصانه حتى بعد ان بلغ الثمانين من عمره ، وقد كان يرتدي ملابسه الكاملة اتقاء شرور البرد · ولكن ما اروع ذلك المنظر الذي كان يرى فيه ذلك الرجل وهو لا يبالي اذ يتعرى من ملابسه ، في قاعة وسيعة وفي ليلة قاسية البرد قبل ان يقدم على السيدات » ·

وكان لتوماس وايلد ثلاثة اولاد ، اصبح الولدان الكبيران من رجال الدين اما الولد الثالث فهو « وليم روبرت

ويلز وايلد » الذي ولد في « كاستيلريا » عام ١٨١٥ واصبح فيما بعد السير وليم وايلد ، فهو ابو اوسكار وايلد · وعلى هذا الاساس فان « الوايلديين » هم ليسوا ايرلنديين لاكثر من ثلاثة اجيال بالنسبة لمولد اوسكار وايلد · وكما يقول الاديب الايرلندي جورج برنارد شو ، فان مناخ ايرلندا يؤثر تأثيرا فعالا وسريعا في صفات شخصية اي عنصر ·

وان « روبرت شيرارد » هو اول من كتب سيرة حياة اوسكار وايلد · وكان قد كتب في اوائل عام ١٩٠٢ مذكرات اوسكار وايلد بعنوان « اوسكار وايلد : قصة صداقة بائسة » وقد نشر فيما بعد ، اي عام ١٩٠٥ وعام ١٩٠٦ « حياة اوسكار وايلد » الذي يعتبر عماد كل ما كتب عن اوسكار وايلد · وكتب شيرارد ايضا قبل ذلك بسنوات قصة حياة « السير وليم وايلد » التي اعتمدها عن لسان السيدة « وايلد » لانه كان صديقها · وهكذا يمكن القول أن هذه الكتابات صحيحة ودقيقة تاريخيا · وان جميع الكتاب الذين كتبوا عن حياة اوسكار وايلد ، كانوا يعتمدون على ما كتب شيرارد · وشيرارد هو الصديق المخلص والذكي في آن واحد ، لانه هو الذي صان اسم اوسكار وايلد وحماه ، فبقيت له سمعته الجيدة · لكننا مع ذلك نلاحظ انه قد وقع في قليل من الاخطاء ، منها انه يقول عن اوسكار وايلد انه ولد في « ميريدن سكوير » في مدينة « دبلن » بدلا من ان يقول في « ولست لاندرو » ·

لقد كان السير وليام وايلد رجلا مرموقا في زمانه ٠ فهو طبيب عيون وآذان متخصص ، وذو سمعة عالمية في علم الطب ٠ وحينما كان دون الاربعين من عمره عين جراحا لطب العيون لدى الملكة فكتوريا ، وان كتبه في الطب ظلت مصدرا علميا للعديد من السنوات ٠ اما كتابه في جراحة العيون ، فيعتبر من المصادر الحديثة جدا في هذا الميدان ٠ وان اكبر اعماله في حقل الطب هو تأسيسه لمستشفى طب العيون والآذان في دبلن ٠ وكان بالاضافة الى ذلك محبا لعلم الآثار ، فكتب حوالي اثني عشر كتابا فيه وفي الفولكلور الايرلندي والاساطير والتقاليد ٠

وفي اواخر عام ١٨٥١ ، وفيما كان وليم وايلد في السادسة والثلاثين تزوج سيدة ذات شهرة عائلية اوسع منه ٠ وان اسم هذه السيدة هو « جين فرنسيسكا ايلجي » ٠ وهي ابنة المحامي « ويكسفورد » ٠ وهي ايضا حفيدة رجل الكنيسة الايرلندي « آرك دياكون جون ايلجي» ذي الشخصية المرموقة والمحبوبة ايضا ٠ وان اسم عائلة « ايلجي » مشتق من اسم « الفجيير » وهو يعني « ايلف سبير » ٠ لكن ام اوسكار وايلد كثيرا ما كانت تصرح ان اسم جدها هو « الجياتي » المنحدر الى ايرلندا من مدينة « فلورنسا » في ايطاليا ،كما كانت تؤكد ان اسم « فرنسيسكا » كثرت تسميته بين العوائل الايرلندية لتأثرهم بالكنيسة الايطالية الرومانية الكاثوليكية ٠ وقد كانت ام اوسكار وايلد كأية امرأة

فلورنسية كبيرة ، ذات شعر اسود وعينين زرقاوين • وقد خلدها الرسام « برنارد مولرنن » في لوحة زيتية وهي في سن الثامنة والثلاثين وقد ابرز تلك الصفات • واوغلت ام اوسكار وايلد في التطرف في تأكيد ان نسبها « الجياتي » قد انحدر من « اليجيري » الذي يتصل بنسب الاديب الايطالي الشهير « دانتي اليجيري » • لكن ربما هذا مجرد تصور •

ولدت جين فرنسيسكا ايلجي عام ١٨٢٤ في عنفوان الصراع بين الشعب الايرلندي ضد الاضطهاد الانكليزي • وحينما كانت فرنسيسكا في الثالثة والعشرين من عمرها ، عرفت بمقالاتها السياسية وقصائدها الوطنية القومية التي كانت تكتبها لجريدة « الامة » لصاحبها « تشارلس كافان داغي » • وكانت توقع مقالاتها باسم مستعار هو « جون فيرنشو اليس » ثم « اسبيرانزا » ، وهو اسم استعارته لنفسها من اسم « فيرانزا كونستنزا اسب[illegible] » [illegible] فهي بطلة وطنية قومية ، إتسم[illegible] [illegible]ـها بالحماسة الثورية ، كما كانت تت[illegible] بالشجاعة الفائقة • وفي عام ١٨٤٨ ظهرت لها مقالة في جريدة « الامة » بحوالي (٦٠٠٠) كلمة موقعة باسم « اسبيرانزا » • وكانت المقالة ثورية جريئة وصريحة تدعو الشعب الايرلندي وتحرضه على الثورة • وبسبب هذه المقالة القي القبض على « كافان دافي » واعتقل لفترة من الوقت • وخلال المحاكمة استشهد المدعي العام بمقطع من المقالة ذاتها ضد « كافان » باعتباره يثير القلق والشغب ضد

السلطة الانكليزية ، الا ان فرنسيسكا صرخت وهي في مكانها في المحكمة معلنة انها هي المجرمة باعتبارها كاتبة المقالة ، وهي التي يجب ان تكون في قفص الاتهام قائلة : انا المحرضة اذا ما كان هنالك محرض • ولم تشغل فرنسيسكا السياسة عن البيت واموره • فقد انجبت اسبيرانزا السياسية الايرلندية من زوجها السير وليم وايلد ، ثلاثة اطفال ، ولدين وبنتا واحدة • وكان الولد الثاني هو اوسكار وايلد الذي عمد تحت اسم « اوسكار فنكال اوفلاهرتي ويلز » • واسم « فنكال » انما هو اسم لبطل اسطوري في القصائد « الاوسية » • لكن اوسكار وايلد كان قد حذف بالتدريج الاسماء الثلاثة الوسطى ، مع كونه ظل يستعملها في سجلات جامعة اوكسفورد • وكان اسمه في جدول جامعة اوكسفورد حينما فاز بجائزة « نيودكيت » عام ١٨٧٨ هو اوسكار فلاهرتي وايلد • وسبب حذف اوسكار لهذه الاسماء من اسمه هو اعتقاده ان الشخصيات المشهورة والمرموقة يجب ان تعرف باسمين فقط او اسم واحد • لذلك حينما ولد ولده البكر اطلق عليه اسما مسيحيا واحدا هو « سيريل » ، الا انه عاد واطلق على ولده الثاني اسما مؤلفا من ثلاثة اسماء • وبعد ذلك بثلاثة اعوام رزق اوسكار وايلد طفلة سماها « ايزولا » • لكن ايزولا توفيت وهي لما تبلغ العاشرة من عمرها بعد ان اصيبت بمرض لم يمهلها طويلا •

واذا عدنا ثانية الى والد اوسكار وايلد ، وليم وايلد ،

ودققنا في حياته ، نجد انه كان ذا علاقات وثيقة بكثير من مشاهير البريطانيين امثال رئيس الوزراء « دزرائيلي » والعالم « هكسلي » وصاحب نظرية التطور واصل الانواع « تشارلس دارون » · وبالاضافة الى ذلك فقد كان مولعا بالنساء ، وكانت زوجته اسبيرانزا تعرف ذلك ، وعودت نفسها على هذا الامر لكي لا تفسد حياتها · ومن اهم العلاقات الغرامية التي خاضها ، هي العلاقة التي جمعت بين السير وليم وايلد والآنسة « ميري جوزفين ترافيرس » ، بحيث ان جميع الكتب التي تعرضت لسيرة حياة اوسكار وايلد ووالديه تحدثت عنها · وقد تميزت هذه الآنسة بمزاجها المتقلب ، لكنها مع ذلك وطدت علاقتها بالسير وليم وايلد ، وكتبت له رسائل وقصائد شعرية مغفلة من التوقيع طبعتها فيما بعد في كتيب صغير ارسلت عددا من النسخ الى زوجة السير وليم وايلد · وهذا ما دعا السيدة « اسبيرانزا » الى ان تبعث برسالة الى الدكتور « ترافيرس » والد الآنسة ميري جوزفين بتاريخ ٦ مارس ١٨٦٣ تتهم ابنته بفساد الخلق · لكن الدكتور ترافيرس لم يبال بهذه الرسالة ، ولم يحاول عرضها على ابنته التي رأتها بصورة عرضية · وانتقاما لنفسها سجلت الآنسة ترافيرس دعوى ضد السيدة فرنسيسكا ، فاجريت المحاكمة في مدينة دبلن في شهر كانون الاول من عام ١٨٦٤ ، طالبت الآنسة ترافيرس بالفي باون تعويضا عما لحقها من اهانة · وهكذا لعبت هذه القضية دورا في الاساءة الى سمعة السير وليم

وايلد ، وهو ذو الشهرة ليس الايرلندية فحسب ، بل ذو الشهرة في عموم الجزر البريطانية · وقد توفي وليم وايلد في دبلن في شهر نيسان عام ١٨٧٦ ، وهو لما يبلغ الثانية والستين من العمر ، وفي الوقت الذي كان ابنه اوسكار وايلد ما يزال طالبا في جامعة اوكسفورد ، وهو في الحادية والعشرين من عمره ·

لم يكن السير وليم وايلد بخيلا ، لكنه مع ذلك خلف لارملته ثروة جيدة قدرت بمبلغ (٧٠٠٠) باون و (٤٠٠٠) باون لكل من ابنائه · وقد ادركت ام اوسكار وايلد احفادها، وهي تعيش في بيت مظلم تقريبا في شارع « اوكلي » في « تشيلسيا » في الوقت الذي كانت فيه الشمس ساطعة خارج البيت · وقد ظلت السيدة اسبيرانزا انيقة المظهر ، فهي تلبس مثل ملكة مهيبة · وقد كان اوسكار وايلد بارا بها ، اذ انه بمجرد تحسن دخله كان يمدها بما تحتاج اليه من المال واحيانا بأكثر مما تحتاج اليه · وهذا يعني انه كان يحبها كما كان يحب أباه ، ويجلها ايضا · وقد كتب عن ذلك في كتابه الشهير « من الاعماق » · وفي شباط ١٨٩٦ توفيت ام اوسكار وايلد ، وكان خبر نعيها صدمة نفسية لاوسكار وايلد ، بينما كان يعاني من عذابات السجن الانفرادي · وقد اشار الى ذلك اوسكار وايلد ايضا في كتابه «من الاعماق» قائلا :

« لا يعرف احد كم كنت احبها واحترمها · ان موتها

كان امرا فظيعا بالنسبة لي · واني وان كنت امير اللغة ، الا اني لا اجد الكلمات التي اعبر بها عن حزنـــــي والمــــي لوفاتها » ·

وقد كانت زوجة اوسكار وايلد ، هي التي تكبدت العناء الشاق ، اذ سافرت من ايطاليا ، الى انكلترا ، تنقل لــــه نبأ وفاة والدته ، وهو في سجن « ريدنك جيل » · وقد نشرت والدة اوسكار وايلد ثلاثة عشر كتابا من تأليفها تبحــــث في الاساطير القديمة والسحر والفولكلور · وقد سجـــل « هوارس وندهام » سيرة حياتها ، نشرها عام ١٩٥١ تحت عنوان « اسبيرانزا » ·

الفصل الثاني

نشأته وثقافته

ولد اوسكار وايلد في السادس عشر من تشرين الاول عام ١٨٥٤ في ٢١ ويستلاندرو في دبلن · وحينما بلغ العاشرة من عمره كان اخوه « ويلي » قد بلغ الثانية عشرة من العمر ، وقد ارسل كلاهما الى مدرسة « بورتورا » الملكية في « انيسكل » · وقد ادخلا في صف واحد بالرغم من الفرق في عمريهما · في كلية « ترنتي » في دبلن حيث امضى فيها ثلاث سنوات · وفي كلية ترنتي وقع اوسكار وايلد تحت تأثير استاذ التاريخ القديم في الكلية « ريفرند جون بينتلاند مهافي » · وقد كان « مهافي » صديقا قديما من اصدقاء السير وليم وايلد ، اذ كانت تجمعهما الاولاع الاثرية · وكان اوسكار وايلد يحب اللغة الاغريقية ، وكل ما يتعلق بالاغريق ، حتى انه بارشاد مهافي فاز بزمالة في كلية ترنتي ثم بوسام « بيركلي » الذهبي لتفوقه في اللغة الاغريقية · وهذا لم يكن نتيجة

مجهود كبير في الكلية ، انما كان نتيجة دراسته وهو طفل ، بحيث كان بامكانه اجتياز امتحانات اللغة الاغريقية بدون اي مجهود ، حتى ولو مجرد الاطلاع على كتب اللغة الاغريقية · وبعد وصول اوسكار وايلد الى اوكسفورد بقليل التقى باستاذ الفن فيها : « جون راسكن » ، وهو الذي صهر شخصية اوسكار وسقى البذور التي زرعها مهافي · فتجلى ذوق اوسكار وايلد الجمالي فيما ظهر في غرفته من سيطرة الوان الخزف الصيني الازرق والابيض · وكانت غرفته اكثر جاذبية من اية غرفة في الكلية · وما زالت الغرفة التي سكنها اوسكار وايلد في الكلية تعرف باسمه لحد الآن · وما زال اسمه مكتوبا على احد شبابيك الغرفة · وكان الشخص الذي وقع اوسكار وايلد تحت سحره هو « وولتر بيتر » · وان هذا الزميل المغمور والمدرس في كلية « بريزينوز » متهم في كونه كان ذا تأثير سام في اوكسفورد · وان مظهره البليد ونهجه المتزمت في الحياة يؤكد وثنية كتاباته · وكان يلتزم بالنظرية الفردية ، والاعتقاد بضرورة اعتبار ممارسة التجربة الشخصية منطلقة من كل القيود كغاية قصوى في الحياة · وبعبارة اخرى كان المبشر للدعوة الى اللذائذ الجسدية ، واعتبارها غاية في ذاتها ·

تعلم اوسكار وايلد ممارسة اللذة حتى ذروتها القصوى من استاذيه مهافي وراسكن ، اذ توغل الى اقصاها في دروب المذهب الجمالي · وقد اشار اكثر كتاب سيرته

الى انه كان معجبا بالجمال الانساني وخاصة جمال الذكورة ، وقد اعتبر هذا الاعجاب انحطاطا دنيئا · وهذا لا شك حكم جائر · فالشباب في كل اشكاله هو مبعث الهام للشاعر والفنان في رأي عدد من النقاد الجماليين · لكن اتباع اوسكار وايلد خطوات كل من راسكن وبيتر اللذين لا يمكن اتهامهما بالانحطاط نتيجة اعجابهم بالجمال لذاته ،جعل عددا من زملائه الطلاب في جامعة اوكسفورد لم يدركوا هذه النظرة المعقدة للحياة · فاوغل بعضهم بممازحته في اسلوب مبالغ به ان كان ذلك في الشعر ام في النثر · وكان الشعر بالنسبة لهم قضية لا مفر منها · وعلى كل حال فان محاولة لوم اوسكار وايلد انتهت بعار اللائمين الذين خذلوا حسب ما يورد السير فرانك هاريس معاصر اوسكار وايلد في جامعة اوكسفورد هذه الحكاية في كتابه « ذكرياتي » :

« ان اوسكار وايلد تحدى الاحداث بنيله « النيو ديغبت » الذي وصفه استاذ الباليول بأنه طالب المعي الذكاء ، ويتمتع بذوق رفيع في الفن وحب الانسانية · وان نظرته الجمالية تظهر في تقديره للصور والخيل والرياضة وعلم الاخلاق · واحكامه صادقة في تحديد ما هو خير · وكان يمتاز بقوة بدنية فائقة حتى بالقياس الى الايرلنديين · وكان يرتدي سترة رمادية غامقة ورباط عنق اصفر ، وقد ترك شعره مسترسلا على كتفيه · وهذا ما

جعل زملاءه يمازحونه ويداعبونه كثيرا وحتى درجة الاغاظة ، بل انهم كانوا يحاولون تحطيم اثاثه الذي يعجب به • لكن هؤلاء كثيرا ما كانوا يعودون ادراجهم وهم يجررون اذيال الخيبة والفشل ، بل وهم يحملون آثار الكدمات واللطمات التي كان يكيلها لهم • وكم كان يعود الى تلك العصابة وهو يحمل رئيسهم على كتفيه كأنه يحمل طفلا صغيرا بين ذراعيه » •

ومما لا شك فيه ان اوسكار وايلد في اوكسفورد كان يعيش عيشة اي طالب اعتيادي ، يلعب الرياضة ويشرب قليلا ، ويتغيب عن المحاضرات ، ويغازل حينما يجد الى ذلك سبيلا • وقد اكتشف في احد الايام في وضعيه جنسية مع فتاة ، وقد استلقى على ظهره ، ومن سوء حظه أن المكتشف كانت والدة الفتاة ، التي وجهت اليه رسالة اتهام حول هذا الموضوع • وهناك ادلة وفيرة بالنسبة لاواخر حياته في اوكسفورد تشير الى انه كان يعتزم زواجا مبكرا من احدى قريباته •

وكان اوسكار وايلد محبوبا في كلية « ماغدالف » وذا علاقة بالكثير من الاصدقاء • ومن بين هؤلاء الاصدقاء يمكن ذكر « دافيد هانتربلير » و « ابوت اوف دانفير ميلايف » والفنان « فرانك مايلز » الذي كان يساكن ابوت في داره في لندن • ومن اصدقائه ايضا « وليم ويلسفورد وارد » الذي

ان يحبه جدا وهو الذي نال زمالة في الآداب الكلاسيكية ، نجح مرتين حائزا على مرتبة الاولوية ، واصبح فيما بعد حاميا ناجحا ، و « ريجينالد رتشارد هارونك » . وقد معت بين هذين الاخيرين وبين اوسكار وايلد مراسلات لال فترة الدراسة في اوكسفورد . وكان لكل من هؤلاء قب يلقب به للدعابة ، فكان هانتر بلير يدعى « دافسكي » ينما كان اوسكار وايلد يدعى « هوتسكي » و « ريجينالد اردنك » يدعى « بوسي » واخته تدعى « مس بوسي » لاحترام . وكانت المراسلات بين اوسكار وايلد واصدقائه د كتبت خلال ثلاث سنوات من ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ حينما كان اوسكار يبلغ من العمر ما بين الثانية والعشرين الرابعة والعشرين . وان هذه الرسائل توضح ان اوسكار وايلد كان يختلف عما يعتقد الناس به حينما كان في ايام دراسته في اوكسفورد . واوسكار وايلد كان من المولعين بالفنون ومن المكثرين في كتابة الشعر ، الا انه ايضا كان يقسم وقته بين الادب والفن والعاب الرياضة البدنية . فعبر عن ذلك في تلك الرسائل المكتوبة بحماس عن العابه الرياضية التي كان يمارسها . اما ما كان يشغله من اولاع فهو الصيد والرماية والتنس ولعبة المبارزة بالقضبان والتصويب بالبندقية ـ وكان يحب الاستمتاع بكل لحظة من لحظات الحياة حتى الثمالة . ويجد الجمال في كل شيء يحيط به . وتثير احاسيسه حتى العاصفة الرعدية فيكتب الى « وارد » من ويست اشبي قائلا :

« لقد وصلت الى هنا خلال عاصفة هوجاء ، عصفت بالعالم كما لو كانت الملائكة تعتقد ان الارض تفور على نـار وهي تنفخ بنيرانها علينا » .

وكان اوسكار وايلد في رسائله الاولى عـــام ١٨٧٦ يوقع باسمه الكامل ، الا نه في رسائله المتأخرة بعد ذلـــك صار يوقع باسم اوسكار وايلد او اوسكار فقط . وفـــي احدى رسائله الى « وارد » وقع باسم « اوسكار ايف . او . وايلد » وهو يقول عن ذلك ، انه يوقع باسمــــه الكامـــل لانه مهم من الناحية الوثائقية .

وبالنسبة لعقيدة اوسكار وايلد ، فهناك قليل من الشك في كونه قد اعتنق المذهب الكاثوليكي خلال ايام دراستـه في اوكسفورد التي لم تكن معارضة لعقيدة العائلة . وان انحرافه الخلقي يعود الى حقيقة ان عائلتــه (والديـــه بالذات) كما يقول اوسكار نفسه لم تسمح له ابدا ان يعتنق الكاثوليكية .

وفي عام ١٨٧٧ زار اوسكار وايلد بصحبة البروفسور « ماهافي » وشابين آخرين بلاد اليونان في رحلة قاما بهـا بعد الرحلة التي قام بها مع « ماهافي » نفسه الى ايطاليا قبل عامين . وهذه الزيارة الى اليونان هي التي عـــززت

صداقته مع « ماهافي » وثبتت حبه واعجابه بالمثل الجمالية الاغريقية ..

وفي عام ١٨٧٨ نال اوسكار المرتبة الاولى للمرة الثانية في جامعة اوكسفورد بينما كانت الاولى قبل عامين في المرحلة الاولى (موديز شبنز) والثانية في المرحلة النهائية (كريتس) اي في عام ١٨٧٦ . اما في عام ١٨٧٨ فقد نال جائزة « نيو ديغبت » في الشعر الانكليزي بقصيدته « رافينا » . فقال مرة عن سؤال وجهه اليه السير دافيد هنتر بليريوم ايام كان طالبا في اوكسفورد : ان الله يعرف ، اني لا اود ان اكون عميدا في اكسفورد ، بل اريد ان اكون شاعرا او كاتبا او روائيا . واريد ان اكون شهيرا . اريد ان اكون شهيرا مهما كانت هذه الشهرة . فاريد على الاقل ان اكون شهيرا حتى لو كان ذلك في سوء السمعة . وربما اريد ان اكون قوادا لفترة من الزمن ـ وبعدئذ من يدري ؟ استريح ولا اعمل شيئا . افليس ما قاله افلاطون ، انما هو الغاية القصوى التي يمكن للانسان ان يحصل عليها هنا ادناه ؟ ان يجلس ويتأمل الخير . وربما تكون تلك نهايتي انا ايضا .

والحقيقة انه قد اصيب ببعض خيبة الامل لعدم حصوله على زمالة بعد ست سنوات من الحياة الجامعية في « ترنتي في مدينة دبلن اولا ، ثم في اوكسفورد بعدئذ

حيث اعتاد عليها وكان يشعر بالسعادة لانها اصبحت شعارا له ٠

وبعد ان ترك اوسكار وايلد اوكسفورد ، اعد نفسه لمدة ست سنوات لكتابة المقالات والقصائد والقاء المحاضرات في انكلترا وامريكا ٠ وفي عام ١٨٨٤ تزوج من « كونستانس ماري لويد » التي قابلها في دبلن عام ١٨٨٣ حينما كانت في الرابعة والعشرين ٠ وكونستانس هي من عائلة لم تكن قليلة الشأن ٠فان كلا من والدها «هوراتيولويد» وجدها « جون لويد » كانا من الشخصيات البارزة في المحكمة الانكليزية ٠ وقد اصبح كلاهما مستشارا للملكة ٠ وابنة هوراتيو الآنسة كونستانس ، كانت نصف ايرلندية ، لان والدها كان قد تزوج الآنسة اتكنسون من دبلن التي تنتسب الى عائلة هيمفيلس من ريف تيرون ، وخالها هو تشارلس هيمفيس كان عضوا محافظا في البرلمان عن شمالي تيرون من عام ١٨٩٢ وحتى عام ١٨٩٥ ، ثم منح لقب « لورد » حين اعتزاله الحياة السياسية ٠ ومع ذلك فقد كانت عائلة كونستانس معارضة لزواجها من اوسكار وايلد باعتباره غير كفء لها اجتماعيا ٠ وبعد الزواج عاش الزوجان حياة بورجوازية متوسطة ، وهما يستمتعان بحياتيهما في دائرة ضيقة بحيث ان سوء سمعة اوسكار وايلد وانفعاليته كثيرا ما كانتا تجرحان مشاعرها ، وبصورة خاصة ، حين كان زواجهما في فترة وصول المذهب الجمالي الى اوجه ٠

★★★

كانت كونستانس امرأة جميلة جدا ، وكانت تتبادل واوسكار وايلد الحب والاخلاص · وحينما قال « فرانك هاريس » عنها ، انها لم تكن ذات صفات متميزة او جمال خاص ، لم يكن ذلك ، الا لانه حاول ان يغويها ، لكنه لم يفلح · لذلك كان دائما ينتقص من النساء اللائي لا يتمكن من غوايتهن لوقاحته البغيضة مقتنعا بانهن لا بد ان يكن غبيات ، وبالتالي قبيحات · وكان فرانك هذا حسب ما يقول فيفيان هولاند ابن اوسكار وايلد ، ان فرانك هاريس كان افجر شخص رأيته في حياتي · ويعتبر كتابه عن اوسكار وايلد سلسلة الاكاذيب لكثرة التعريض به · وهذا الكتاب مع كتبه الاخرى لا يستحق الا ان يلقى في وعاء القمامة·· وبالاضافة الى ذلك فان القصص التي رويت عن حياة اوسكار وايلد لم تكن الا من نسج الخيال · وكونستانس لا يمكن ان تكون غبية كما ادعى فرانك ومؤرخو حياة اوسكار وايلد ، لانها كانت تتكلم الفرنسية والايطالية بطلاقة · وكانت جل مطالعاتها بهاتين اللغتين · لكنها لم تكن حاضرة البديهة ، ولا تستعذب الفكاهة او الدعابة ، لذلك لم تكن امرأة ضاحكة · وكانت تشعر بالغربة في الحياة البوهيمية في محيط « تشلسيا » الواسع بالرغم من ان دارها كان ملتقى الفنانين والادباء في ذلك الوقت · وما كان يقال من ان اوسكار كان بنفسه يصمم ويختار لها ملابسها ،

لم يكن من قبيل الصواب ، لانها لم تكن مقتنعة بمثل هـذا التسلط • وهي بالاضافة الى ذلك كانت معجبة اشد الاعجاب بالفن ما قبل الرفائيلية • وكانت ترغب في ان يتفق اعجابها واعجاب زوجها • وكانت تبدو في جميع صورها آنئـذ بملابس تلك الفترة وعلى الاسلوب الايرلندي الذوق ، التي كانت تقوم بتصميمها هي بنفسها • ومع اهتمامها هذا لم تكن تهمل ولديها قط ، بل كانت تفيض عليهما من حبها وحنانها ، حتى ان فيفيان هولاند ابنها ،كان يهيم بها احتراما جزاء هذه العواطف ، مع انها واوسكار كان يظهر عليهما انهما يكنان لولدهما البكر « سيريل » اكبر الحب ، واكثر مما يكنان لفيفيان • وقد ذكر اوسكار وايلد ابنه البكر هذا (سيريل) في كتابه : من الاعماق De propundis باسمه ، لكنه لم يتطرق الى ذكر فيفيان الا حينما يتحدث عن ولديه الاثنين دون ذكر اسميهما وذلك بقوله : ولدي !

والجدير بالذكر ان نشير الى ان اوسكار وايلد انجب ولدين ، ولد الاول في حزيران عام ١٨٨٥ وسماه « سيريل » وهو اسم شاعري على غير المألوف في الاسماء الانكليزية • وبعد سبعة عشر شهرا ، اي في تشرين الثاني ١٨٨٦ ولد طفلهما الثاني الذي اطلق عليه اسم « فيفيان » وهو ايضا اسم ذو طرافة • وقد ولد هذان الطفلان في الدار التي كان يقطنها اوسكار وايلد وزوجته كونستانس في شارع « تايت » • وقد اصيب اوسكار وايلد بخيبة امل بميلاد

طفله الثاني ، اذ كان يود ان يرزق بطفلة تذكره باختـــه « ايزولا » التي اخذتهـــا المنون وهي في ســـن الطفولـــة الغضة · وكان اوسكار ينوي ان يسميها « ايزولا وييدر » · واوسكار وايلد مع كل ذلك كان ابا حنونا ، فكثيرا مـــا كان يتفرغ لملاعبة طفليه ويساهم معهما فـــي العابهمـــا الصغيرة ، واحيانا يتقلب بينهما ممثلا نفسه بالاسد مـــرة والذئب مرة اخرى والحصان احيانا ·

ان دار اوسكار وايلد التي قضى فيها حياته الزوجية، تقع في ١٦ شارع تايت ، الذي يمتد الى طريق المستشفـى الملكي · وهي تحتوي على غرفة مكتب اوسكار التي تقـــع الى يمين الداخل الى الدار ، حيث كان يقضي فيها اعمالـــه امام منضدة كانت من اثاث « كارلابل » · وكان يحب فـــي غرفته اللون الاحمر والاصفر ، بينما كان لون جدران الغرفة اصفر فاقعا والاثاث احمر · وفي احدى زوايا غرفة المكتب استقر تمثال نصفي لهرميس البراكسينالي · وعلى الجدران علقت عدة صور ، منها صورة سمعان سليمان المونتيسيلي وصورة بيروسلي الرائعة للفنانة السيدة « باتريك كاميل » · وما تبقى من جدران الغرفة فقد صفت عليها رفوف الكتـــب الاغريقية واللاتينية الكلاسية ، والادب الفرنســـي والكتـــب الحديثة لاعمال المؤلفين المعاصرين لاوسكار وايلد · وكـــان اوسكار يختلي في غرفته هذه ، ولا يحب الضوضاء ابدا ، حتى ان الذي يمر امام باب الغرفة ، فعليه ان يمشي علـــى

رؤوس اصابعه لئلا يحدث صوتا يعكر الصمت والسكينة اللتين يحبهما • وهو لا يسمح بدخول الغرفة لاحد ، لاي غرض ، الا باذن خاص منه ودعوة خاصة • وحتى ان لم يكن في البيت فلا يمكن لولديه ان يدخلا الغرفة الا اذا كان بصحبتهما احد الكبار • وأن حدث ان دخل احد ولديه او كلاهما ، الغرفة ، فأنهما لا بد ان يلقيا عقابهما في « قدس اقداسه » •

وعلى كل حال ، فقد كان يغلب على تزيين دار اوسكار وايلد طابع وفن ما قبل الرفائيلية • وقد قام بتصميم التزيينات « اي• دبليو • كودون وسلر » وقد كان الطابع الياباني ايضا قد زحف قليلا الى الدار • أما لون كراسي الخيزران في غرفة الاستقبال ، التي كان يتصدرها بيانو كبير ، فهو اللون الاسود والابيض ، كما كانت له صورة كبيرة بطوله الكامل ، معلقة مقابل الموقد ، وهي من رسم الفنان الامريكي « هاربر بينتغتوت » لكنها كانت لوحة رديئة من الناحية الفنية • كما كانت تنتشر في البيت التحف والفوانيس المغربية •

كانت كونستانس تحب طراز الستائر الفكتورية والدانتيل واغطية الكراسي من اشغال الابرة التي تصنعها هي بنفسها ، كما كانت تقتني الكتب الخاصة ، اذ كثيرا ما كانت تطالع شعر الشعراء الانكليز ، اذا ما شعرت بالرغبة في الهدوء ، وهي مولعة بصورة خاصة بشعر

كيتس ، وقد ظل ديوانه بصحبتها منذ ان كانت في التاسعة عشرة من عمرها وحتى وفاتها · ولم تنحصر مطالعتها على الشعر الانكليزي ، بل تعدته الى الشعر الايطالي ، اذ كانت تحفظ الكثير من شعر دانتي وبترارك وتاسو ·

ان دار اوسكار وايلد وكنستانس كثيرا ما كانت تستقبل اشخاصا مختلفين في الاولاع والاهتمامات · فكانت تستقبل هنريك ايرفنك والسير وليم رتشموند آر · اي وساره برنار ، وجون سارجنت وجون راسكن وليلي لانكري ومارك توين ، وهربرت بيربوم تري وروبرت براوننك والجيرنون سونبرن وجون برايت والليدي دي كري وايلين تيري وآرثر بلفور · وكل هؤلاء من انصار الحركة الفنية ما قبل الرفائيلية · وكان من اصدقاء اوسكار وايلد وولتر هاريس الذي قضى معظم سني حياته في الاسفار الى افريقيا واقطار جنوب المحيط الهادي الذي قد اشترك مرة مع صديقه الحميم آر · بي كاننغهام غراهام في رحلة الى طنجة في المغرب العربي وسكنا دارا واحدة · وكانا يعيشان حياة كما يعيشها العرب المغاربة تماما ، حتى انهما اطلقا لحيتيهما ، حتى يتمكنا من التجول في أحياء مراكش ، وتعرضهما لشمسها المحرقة اكسبت لون بشرتيهما سمرة محببة ، ولجوؤهما الى تعلم اللغة العربية ، كل ذلك سهل لهما ذلك التوغل في المجتمع العربي المغربي · وبالاضافة الى ذلك فقد قاما برحلة الى مكة وأديا مناسك

الحج ، الا انهما كادا يتعرضان للموت المحقق فيما شوهدا وهما يغسلان ايديهما كالاوروبيين ، وليس على الطريقة الاسلامية الخاصة بالوضوء للتهيؤ للصلاة ، اذ ان تلك الطريقة في الغسل كما هو مألوف مخالفة للشعائر الدينية الاسلامية · وقد يعتقد ان « غراهام » و « وولتر هاريس » قد اعتنقا الدين الاسلامي مؤقتا وذلك لغرض التجوال والاستكشاف في المناطق العربية والاسلامية ، ولا شك ان ذلك يمكنهما من التخفي للوصول الى بعض او كثير من المآرب ·

الفصل الثالث

شخصية اوسكار وايلد

ما زال اوسكار وايلد شخصية متناقضة ، ففـــي القارة الاوربية ما زال يتمتع بقيمة عظيمة ، كما ان اسمه يأتـــــي بعد شكسبير، اعظم شخصية في الادب الانكليزي· وهناك من الانكليز من يميل الى ان هذا الاجلال الكبير مبالغ فيه، بينما يعتقد الآخرون، بأن اوسكار وايلد كان يجبان ينسى فيالوقت الحاضر ، ان لم يكن عارا وخزيا على الانكليـــز · ويقـــول اوسبرت بوريت في كتابه الرائع « الفترة البيروسلية » :

ان شعره لا يستأهل ولا يستحق العنايـــــة النقديـــة الحاضرة ·· وان جميع شعره ، بل شعره المنمق ، انما هـــو سلسلة اصداء تعتمد على تلاعب تقني بالعبارة لمثل هـــذا الطابع ، وانه يقاسي بسبب اصالته كمفكر ·· وهـــو فـــي هزلياته وفكاهاته فقط يحاول الوصول الى الشكل الـــذي يعرض خلاله نباهته المسرحية بذلك الطابع الخاص ·

واشار الكاتب نفسه الذي ظهر كتابه عام ١٩٢٥ :

ان حياة فرانك هاريس الروائية من المحتمل ان تكـــون قد انتهت · لكنه في هذا الحكم كان قد وقع في خطأ بالتأكيد ، لانه لحد ذلك الحين كان قد ظهر طوفان من الكتـــــب حـــول اوسكار وايلد منها حياة « هيسكيث بيرسون ، ودراســـــة السير مونتيغومري هايد عن المحاكمة في سلسلة المحاكمات البريطانية المشهورة ، وطبقه المستر فيفيان هولاند بنص رسالة اوسكار وايلد الطويلة (من الاعماق ـ دي برفانديســـــس » الكامل ، ودراسة ماركيس الكويسبيري ، وبيرسي كولسون ، بعنوان ـ اوسكار وايلد ودبلاك دوغلاس » · وهذا المصـــدر الاخير لا يقدر بثمن لما يلقي من اضواء على العلاقة بيـــــن اوسكار وايلد وبين الفرد دوغلاس · لانه حتى وفاة هــــــذا الاخير ، لم تنشر اية معلومات شخصية عن هذه العلاقـــــة بين الاثنين · وبالاضافة الى ذلك ، فقد ظهر حديثا كتـــاب ـ الطبيب الفكتوري للمستـــــر تي·جي·ولسون الــــذي درس شخصية السير وليم وايلد الغريبة وهو والد اوسكار ·

ولا شك ان شخصية وليم وايلد قد اثرت شيئا ما كثيرا او قليلا في نفسية اوسكار وتكوينه · فان وليم وايلد كــــان شخصية بارزة في منتصف القرن التاسع عشر فـــي دبلـــن عاصمة ايرلندا ، وقد كان مشهورا كما عرفنا ببراعته فـــي طبابة العيون والآذان ، حيث عين جراحا للعيون لـــــدى

الملكة في ايرلندا ، وقد نال هذا الشرف جزاء لمكانته العلميـة العظيمة · لكنه مع هذه الشهرة كان سيء السمعـة فـي علاقاته الغرامية · وبالاضافة الى ذلك فهو ايرلندي متميـز باهتمامه بالعاديات الاثرية ايضا · وان زوجته (جين) كانت معروفة بسمعتها الادبية والسياسية ، اذ كانت شاعرة ايرلندية قومية ، تكتب تحت اسم مستعار هو (اسبيرانزا) ، وهـي مشهورة ايضا بقدرتها العبقرية في رئاسة صالونها الادبـي الذي كانت تستقبل فيه مشاهير رجال الفكر والادب والفن ·

تميز اوسكار وايلد حينما كان يتعلم في مدرسة يورتورا الملكية في مقاطعة اينيسكل ، وفي كلية ترنتي في دبلن عـام ١٨٧٣ بكونه تلميذا لامعا في الثقافة المدرسية ، فحصل عـام ١٨٧٤ على زمالة في كلية ماغدالين في جامعـة اوكسفورد التي درس فيها حتى عام ١٧٧٩ · ولم يكن مهملا في مظهره ، بل بالعكس كان محبا للظهور بين اقرانه بالاضافة الى تميزه ونيله المرتبة الاولى في الادب المدرسي للعصر الوسيط وفي الادب الانساني · وقد كان يقرأ ، بينهم ، افلاطون وارسطـو خلال دراسته لنيل الدرجة الجامعية · لكن توجد شواهـد كافية تثبت انه كان مطلعا على كتابات سبينوزا وغوته وهيجل ورينان وماتيو ارنولد وامرسون وبودلير · وهكذا كان وهـو في هذا العمر الفتي رجلا واسع الثقافة الى درجة منقطعـة النظير · وجامعة اوكسفورد ذاتها كانت في صراع فكـري حاد · فالفلسفة السائدة آنئذ هي الهيكلية الجديدة التـي

يتزعمها د ت٠هـ٠ غرين) والنظريات الجديدة في التطور التي قدمها كل من تشارلس داروين وجوليان هكسلي ، وهي التي شرعت تشغل العقول الفتية آنئذ ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فان طلاب الجامعات المثقفين كانوا مولعين بموسيقى قصائد واناشيد (سونبرن) الساحرة ٠ وان انبثاق التأنق الذاتي من ناحية ، من الرفائيلية الجديدة ، وهيام ويسلر بالخزف الصيني الازرق الذي ارهف ذوق الشباب ، وحيث كانت غرفة اوسكار وايلد في كلية ماغدالين حافلة بالخزف الصيني الازرق لتدل على ذلك ، بينما كان الرجعيون يحرمون حتى مجرد ذكر كلمة الفن ٠

وكان لراسكن التأثير البالغ على طلاب الجامعات المثقفين والمرهفي الحس ٠ وكان هذا التأثير قد وفق اليه بمحاضراته في جامعة اوكسفورد بين عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٨ ثم مرة ثانية بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٨٤ ٠ وفي الفترة الاولى ارتبط اوسكار وايلد بالمسرح الشيلدوني والمسرح الشيلدوني هو البناية الوحيدة في اوكسفورد والتي تسع جمعا غفيرا من المتفرجين ٠ وفي هذه الفترة اصبح اوسكار وايلد قادرا على تشكيل فرقة من الشباب الذين كانوا يعتنقون مذهب جون راسكن الاجتماعي ، وشرعوا يمهدون الطريق لهذه الفكرة ٠ وهذا دليل كاف لاثبات قدرة اوسكار في الزعامة لانه لم يكن معروفا آنئذ بقدرته الجسدية في اي ميدان من ميادين هذه القوة الجسدية ٠

ان ولع راسكن بالجمال لم يكن حكرا عليه ، انما كـان يساهم معه فيه شيوخ اوكسفورد بينهم الاستـاذ فـي « برائينيوس » (وولتر بيتر) الذي كان ذا تأثير عميق فـي عبقرية اوسكار وايلد المبدعة · ولكن مع ان تأثير وولتر بيتر كان يساهم مع جون راسكن في عشق الجمال ، الا انه لـم يكن متمعتا بنصيب من الحس الاجتماعي المرهف الذي كـان يرى فيه مجرد بعث للنظرة الحياتية الخلقية واللاهوتيـة ، التي كان يمتثل لها جون راسكن منذ ايام صباه ، حينما كان منتميا الى الكنيسة الانكليكانية · وقد يبدو غريبا ان نعلـم وبكل دقة ، ان جون راسكن ووولتر بيتر لم يتقابلا ، وان ما كان يتصف به فعلا ، فهو اختياره ان يبقى منعزلا · وفـي البرج العاجي في كلية كان قد عاشر زملاءه وتلاميذه ووطـد عزمه على تثقيفهم بالحس الجمالي الى درجـة مرض العصاب ·

ان دراسات راسكن في تاريخ النهضة ، قد ظهرت فـي عام ١٨٧٣ ، وقد بين في اشهر قسم من تأليفه ، هذا القسـم الذي نشره في طبعة عام ١٨٧٧ ، ان عددا من العواطـف يعطينا حياة روائية مدهشة · فكيف نرى ما يمكن رؤيتـه فيها بادق الحواس ؟ وكيف نمر بسرعة فائقة من نقطة الـى نقطة ونكون حضورا في مركز حيث يكون عدد كبير من القوى الحية ، وهي تتحد في اصفى الطاقات ؟ لنحترق بهذه الجوهرة الصلبة الملتهبة لادامة النشوة ، انما هو النجاح في الحياة··

وما نريد عمله ، انما هو فحص الافكار الجديدة السطحيـــة ودغدغة الخلجات المرهفة · ولكن لدينا فرصة ، ومكانتنـــا لا تزودنا بمعرفة اكبر · فالبعض يقضي هذه الفترة فـــي لامبالاة ، والبعض في غرام عنيف . اما العقلاء جـــدا ، فيقضونها في الفن والغناء ·· لان الفن يأتي اليك معلنـــا بصراحة ، ولا يعطي سوى ميزة عظمى ، بعد ان تمر تلـــك الاويقات ببساطة من أجل تلك اللحظات ·

لا بد من الاعتراف هنا ان اوسكار وايلد لم يتمكـــن من التخلي عن مذهب الفن للفن في انقى صوره مطلقـــا ، بتأثير راسكن في كتابه « روح الانسان في ظل الاشتراكية » اذ هو دليل مثير لهذا المذهب ، وهي تعاليم « بيتر » التـــي وجدها متسقة مع غرائزه الشخصية التي جعلها قاعـــدة لحياته ·

كان اوسكار وايلد اشهر تلميذ جامعي ، مع كونه سيء السمعة بالنسبة لعصره ، وحيث يكون « وولتر بيتر » غيـــر مدرك لوجوده او لم يبال به · وهو لم يبذل اي جهد ليحصد ما قد زرع · وقد يقال انه كان يكرهه ، لانه هو لا يكـــن حبا للجماهير ، وربما يخاف من ان يكون قرينا لتلميـــذه الصغير ذي المجد المرموق · فان اوسكار وايلد كان مشهـــورا حتى قبل ان يغادر اوكسفورد ، وليس في اوكسفورد ذاتهـــا فقط · وان مروجي المذهب الجمالي الجديد والرموز التـــي تمثلت بريش الطاووس وزهور عباد الشمس والتزيينـــات

المعمارية والخزف الصيني الازرق والشعر المسترسل الطويل والسراويل المخملية ، شرعوا في التسلل الى لندن ٠

وفي هذا الوقت بالذات تخلت مجلة (بانتش) وبصورة كلية عن الاتجاهات الخليعة المتطرفة ، والابتذال الهزيل الذي كان يغلب على اعدادها الاولى ، واصبحت لسان حال فكر الطبقة الوسطى ، وقد تسلمت قيادة حملة السخرية ضد الجماليين ٠ ففي ١٤ شباط ١٨٨٠ نشرت صورة هزلية بعنوان (المغفلون ، انه الاعجاب الاجتماعي المتبادل) ٠ وان شخصية (جيلابي بوستليثويت) الشاعر الكبير لا يتمتع بأية صفة جسدية من صفات اوسكار ، لكنه اخذ ينمو بسرعة مثله ، اثناء ما كانت الحملات مستمرة ٠ وفي تموز ١٨٨٠ ظهرت صورة هزلية شهيرة للجمالي ، وهو يفكر بزهرة الزنبق بدلا من ان يفكر بالغذاء ٠ وفي تشرين الاول ظهرت صورة ساخرة لاوسكار وايلد تشير الى كونه يحاول ان يحيا وفقا لخزفه الصيني الازرق ٠ وفي شباط التالي نشر « دوموريييه » وقد كان رأس رمح الهجوم ، صورة هزلية لاول مرة في « الموندل » التي اعتبرت صورة مضحكة واضحة لاوسكار وايلد ، الذي ظهر قائلا :

« ما ابرع ابنك المحبوب ايتها السيدة براون ٠٠ لم لا تدعيه يظل مطمئن البال ابدا ، ليحيا بجمال ؟ »

ان التضمين الخبيث قد اخفي بصورة جيدة ، لكن

المسألة كلها ظلت على حد سواء ٠

ان تعليقات ورسوم دوموربيه الهزلية ، ربما يكون قد كتبها اف٠سي٠ برناند الذي لم يقتنع بهجماتــه في مجلــة (بانتش) ، وكان قد نشــر في الثاني من شــباط ١٨٨١ : (الملهاة الجمالية) بعنوان « الكولونيل » عن البطل بازيــل جيورجيون ، فارس الزنبق ٠ لكن هذه الملهاة افل نجمهــا بسرعة بعد ان عرضت مسرحية « الصبر » الهزلية التي الفها جلبرت وسوليفان في دار الاوبرا كوميك في لنــدن فــــي ٢٣ نيسان ١٨٨١ ٠ واستمر عرض هذه المسرحية مع ابانثون ، البطــل الجمــالي حيــث اصبح الشــخصية المحبوبــة لرواد المســرح ٠

ان المؤلف W.S. Gilbert ظهر ضائعا بصورة غريبة جدا ، اذ انه قد خلط بعض الشيء ما بين شخصيتي اوسكار وايلد ووسلر ، فقد اخذ هذا البطل جزءا مــــن كــــل مــــن الشخصيتين ٠ وحاولت مجلة (بانتش) ان تضع موضوعــا على هيئة حوار مفتعل بين الاثنين ٠ وهذا هو سبب تبادل البرقيات الشهيرة ٠ فأبرق اوسكار وايلد قائلا : لقد كانــت مجلة بانتش سخيفة ، اذ حينما كنا معا لم نتحدث بشيء الا عن نفسينا ٠

الظاهر ان هناك مبررا لنزق وسلر ، لانه قد عاد الى لندن في خريف عام ١٨٨٠ بعد غربته التي دامت مدة سنتين

في فينيسيا (البندقية) ليجد اوسكار وايلد اماما لهـــذا المذهب الجديد · لكنه حينما ذهب الى البندقية ، انما كـان ذلك بسبب افلاسه · وكان افلاسه نتيجة التشهير الذي اعلنه ضد راسكن ، الذي ادى الى تحطيمه · وجون راسكن هـــو الذي دعا « كريمورن ، الصاروخ الساقط » وعـاء الالــوان المقذوف في وجه الجمهور · ولسنوات عديدة كان وسلر يرسم توافقيات وتنظيمات ، وهو يتذمر من الفكرة القائلة ان الفـن يجب ان يكون صورة لحكاية منقحة · ولعدة سنوات ظـــل البطل المعروف لمذهب الفن للفن وهو يجمع لعدة ســنوات الخزف الصيني الازرق ويزين غرفه بالمراوح اليابانية وريش الطواويس · اما الان فان هذا الشاب قد انحدر من اوكسفورد وهو يتباهى كزعيم لحركة جديدة · وبدلا من الترحيب بحليف شعر وسلر ، فان وسلر بدأ يشم رائحة وجود منافس لــه ، وهذا ما يوضح ـ ولو بصورة غير محققة ـ فظاظة تلـــك المراسلات ، وان المعرفة الشخصية (حيث يصعب على البعض تسميتها صداقة) قد انتهت برسالة (الى العالم) نشـرها وسلر مرة ثانية في كتابه « فن كيف تكسب الاعـــداء » اذ يقول فيها عن اوسكار وايلد :

« ماذا كانت مساهمة اوسكار في الفـــن ؟ ما عـــدا غداءه على مائدتنا واكله الخوخ والبرنك من صحوننـــا ، وسوى التجول في المقاطعات · واوســكار وايلــد الانيـس اللامبالي ، واوسكار النهم ـ لم يكن اكثر من شاب وسيـــم

وسامة صورة معلقة على حائط ، وهو يتمتع بشجاعة رائعة في ابداء رأيه في الاخرين » ·

وهذا بمجمل العبارة هو اتهام « وسلري » بالانتحال ، سواء كان هذا الاتهام ثابتا ام لم يكن ، بالنسبة لاوسكار وايلد الذي لازمه منذ ذلك الوقت · لكنه اتهام غير عادل · لان محاضرة وسلر (الساعة العاشرة) التي لخص بها افكاره انما كانت دفاعا مجيدا عن عمله كرسام ، وليس اكثر من ذلك · اما كمذهب جمالي ، فقد كانت تافهة جدا · لكن اوسكار وايلد حاول حقيقة ان يوجد فلسفة جمالية ذات تطبيق شمولي ·

ان الفرصة التي سنحت لتفسير فلسفته ، انبثقت بطريقة غريبة · فأراد المناصرون لاوبرا (الصبر) ان ينقلوها الى اميركا ايضا ، لكنهم ظنوا انه من الصعب على الشعب الاميركي ان يدرك فحواها · وليست هنا اية اشارة للتقليل من قيمة الجماليين في عالم ما زال الجماليون فيه مجهولون · ومع ذلك قررت دعوة اوسكار وايلد ليحاضر في اميركا · فهل كان اوسكار وايلد يعي ذلك ؟ ربما يكون ذلك ؟ وعلى كل حال ، فقد قبل اوسكار وايلد الدعوة بسرور بالغ وابحر الى الولايات المتحدة الاميركية على ظهر السفينة « اريزونا » بخطوط (كونارد) · فوصل الى نيويورك في الثاني من كانون الثاني ١٨٨٢ ، وللطرافة والغرور الذي يتمتع به

اوسكار وايلد ، حينما سألته السلطات الكمركية المسؤولة حين وصوله عما اذا كان لديه اي شيء يود التصريح به ، فأجابهم : لا شيء سوى عبقريتي !!

كانت اوبرا « الصبر » تعرض على مسرح ستاندارد منذ ايلول عام ١٨٨١ وحتى وصول اوسكار وايلد في السنة التالية اما مسرحية (الكولونيل) لبرنارد فقد نقلت الى اميركا بعد وصوله مباشرة • ولم يصل اميركا احد لالقاء سلسلة محاضرات ويلاقي مثل ذلك الحماس الشعبي ، لكنه كان حماسا عدائيا • ولم يكرمه الا (باك) مثلما كرم « فيتزنودل » في اميركا حتى تعاقدت معه جميع المطابع الاميركية • وحين القاء اوسكار وايلد محاضرته الاولى في نيويورك ظهر في زي « الجماليين » ـ بالسراويل القصيرة ـ بينما كان الصحفيون قد اصابتهم نشوة من السرور • وجريدة ـ ذاسن ـ (الشمس) وحدها هي التي احتجت •

« لماذا يرفض الزائر ببساطة من اجل زي اللباس الذي يرتديه ؟ ليس هناك قانون اجتماعي او غيره يجبر المرء لان يلبس مثل اي انسان يمكنك ان تقابله • »

وبمناسبة وجود اوسكار وايلد في « روتشيستر ، ان• واي » نظم لغط وشغب تمكنت الشرطة من قمعه والقضاء عليه ، اذ شرع الطلاب في (هارفارد) بالصخب الذي كان بامكان اوسكار وايلد نفسه ان يمنعه بقوة شخصيته وسحره •

والقى اوسكار بعدئذ محاضرات في خمسين او ستين مدينة في الجزء الغربي ، فان لم يكن قد اقنع مستمعيه اللاذعين بتبني افكاره ، فانه على الاقل كسب احترامهم · انه دعي الى اميركا الشمالية كشخصية مضحكة ، الا انه عاد منها وقد عزز سمعته ·

ان محاضرته حول (النهضة الانكليزية) ما زالت حتى هذا الوقت لم تنل ما تستحقه من الاهتمام · فقالت جريدة (ذا سن) :

« انها لم تكن انجازا مسرحيا تافها لكي تهين ذكاء المستمعين ، لكنها لم تكن سوى مقالة معدة بعناية برهنت على ان كاتبها كان شخصية مهذبة ومتذوقة وذو خيال خصيب ومثقف ودمث الاخلاق » ·

وهذا ما اضطر شخصية اميركية في مقام جليل هو « ريفرفيد هنري وارد بيتشر » لان يستضيفه ويحتفي به عام ١٨٨٢ ·

ولم يحقق اوسكار وايلد في عودته الى انكلترا ما كان يتوقعه ، ان لم نقل ان سمعته قد هبطت · فأشعاره (١٨٨٠) قد استقبلها الجمهور على العموم بالاستحسان ، لكن سمعته السيئة بلغت درجة اكثر من اي وقت اخر · ولان الشعر لا

يدر دخلا منتظما ، ولا احد يمكنه ان يعيش بالاعتماد على سمعته السيئة ، لذلك تعرض اوسكار وايلد الى هزة عنيفة . فأشار اوسبرت بورديت في هذا الصدد قائلا :

« بدأت سمعته – اي اوسكار وايلد – تتقدم بصورة معكوسة بالقياس الى انجازاته في العصر الذي صار فيه الذكاء والاناقة غير معادلين للبلاغة اللفظية في الادب في ذلك العصر . وكان الملفت للنظر والباعث للسخرية ان اوسكار وايلد المشهور ، لم يجد جزاء اعماله الادبية سوى دعوات الغداء المتواترة . وان قدرته في رواية القصة والغداء في الخارج قد انتهت مع « كريفي » الذي كان يحيا على موائد الاخرين ، لانه كان يحصل على مورد قليل . وقد حاول « اوجست جون هير » الاستمرار على المنوال نفسه ايضا ، لكن القدر بالنسبة له كان اكثر كرما في توفير وسائل عيشه ، فيما بين صباح يوم الثلاثاء ومساء الجمعة ، اكثر مما تعني بالنسبة لاوسكار وايلد » .

حاول اوسكار وايلد حينئذ ان يكسب قوته من الصحافة، فعمل محررا في مجلة « عالم المرأة » حيث ساهم مع – مالارميه – في اهتماماته التي كانت محورا لاهتمام كل الناس ، وهو رجل الادب الكبير الامكانية ، الذي يوافق على كتابة – ملاحظات حول الانباء . فكتب استعراضات – بدون توقيع – للعديد من الصحف ايضا . وفي هذه الاثناء ، اي

عام ١٨٨٤ تزوج اوسكار من « كونستانس لويد » ابنة هوراس لويد ، كيو · سي · فساهمت زوجته معه في التحمس للفكـرة الجمالية الى درجة الظهور على مسرح الحياة في اجتماعات عامة لحث النسوة على اصلاح ملابسهن · وهي التي ارادت ابدال ملابس الدانتيل الضيقة المعاصرة المطرزة بالاثـــــواب الضافية مما قبل المرحلة الرفائيلية ، مثل زوجها الذي كان يغرق في الازياء الرجالية المضحكة المثيرة ·

انها هي تلك الجهود التي وضعت اسم اوسكار وايلد امام الجمهور مع انه قد كتب القليل الذي يثير الانتباه مـا بين سنة ١٨٨٢ (سنة عودته من الولايات المتحدة الاميركية) وعام ١٨٨٨ · وعلى كل حال ، فان هذه هي بداية المرحلـة الثانية من حياته الادبية ، لانه بعدئذ اصبح على اتصـــال اثناء زياراته المتكررة لباريس برجال الادب الفرنسيين ·

وهو بالطبع كان يعلم بوجود المذهب الرمزي الفرنسي · وفي ذلك الوقت كان قد وصل تأثير بودلير الى انكلترا عـن طريق « سوفيرن » من قبل · لكن تقديس بودلير باعتبـاره اماما لمذهب جديد ، كان قد انتهى حتى في فرنسا في اوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر · وفي وقت مبكر جداً ، وحينما كان اوسكار يتردد على باريس ظهر الكتاب الـذي احتفي به كأنه صلوات المذهب الرمزي اليومية ، لاوسكـــار وايلد · فان « الى طريق الخطيئة » لهيوسمان قد طبع عـام ١٨٨٤ الذي كان مثالا جذابا لاوسكار وايلد · وان الشخصية

الغريبة لبطل (ديزيسانت) قد صيغت اعتمادا على الشخصية الحية التي خلقها الكونت روبرت دي مونتيسكيو ، وهي التي كانت بالنسبة للشباب الانكليز تجسيدا لافكاره · وان اسلوب هيوسمان المحبوك الرائع وبشكله البدائي وكثرة التشبيهات التي فيه وخصبه وانتقائية المفردات والمفعم بالصور والاخيلة انما يخلق واحدا من القديسين في المذهب الجمالي الذي يتخلى عن الملذات ، ويعزف عن ملاهي الحياة الاجتماعية ليحترق مثل « وولتر بيتر » في لهيب الحس الجمالي · ولكونه فرنسيا ، فقد تطرف في ابحاثه اكثر من اي انكليزي يمكنه ان يتجرأ للقيام بذلك في مثل هذه الفترة ·

★★★

اننا نجد في دراسات ــ ماريو براز ــ الموسوعية التي سماها « الصراع الرومانسي » ان جميع الاعمال النثرية التي كتبت عن المذهب الرمزي بدءا من لورين دي كورمون وعبر اوسكار وايلد حتى دانانزيو ، كان يحملها جنين كتاب « الى طريق الخطيئة » ويتذكر قراء هذا الكتاب ، ان « ديزيسانت » او ــ هيوسمان ــ يترك الانطباع نفسه عن رسوم غوستاف مورو · وهكذا ادعى هيوسمان انه اكتشف ــ مورو ــ عن طريق لوحاته النفيسة التي كشفت بدورها افكاره الغريبة خلال المشاهد الفخمة والسادية ، وان معظم لوحاته لا شك كانت مستقاة من « غوايات القديس انطوان » لفلوبير وقصته الشجية « هيروديا » · وان ما يؤكد تأثيرها هذا ، هو لان فلوبير ايضا كان احد الآباء الروحيين للمذهب

الرمزي · ولكن بالنسبة للاخيلة التي تسلطت على احلام مورو ، وراقت له بالنسبة « لديزيسانت » ، انما هي قصة « سالومي » اذ ساهم اوسكار وايلد بهذه النظرة التي اصبحت واضحة للعالم بعد ذلك بسنوات قلائل · ولم نكن نحن نعرف عن اتصالات اوسكار وايلد بالكتاب الفرنسيين في هذه الفترة بالقدر الذي نروجه · وان جاذبيته ودماثة خلقه ولغته الفرنسية الجيدة ، وشهرته كأحد الرمزيين جعلته يجد العديد من الابواب مشرعة المصاريع امامه · وبالضرورة لم يجد اوسكار وايلد في باريس الابواب مشرعة امامه ، وكان يكتفي بالجلوس امام المنضدة في احد مقاهي الحي اللاتيني ، وهو يرتشف شراب (الافسنتين) ، ويتحدث ويتحدث حتى الساعات الاولى من الصباح · وبالتأكيد يكون اوسكار وايلد قد تعرف بمارسيل شوب الذي صدرت طبعة قصته الخرافية (المدن الزرق) باهداء الى اوسكار وايلد وقد ظهرت في جريدة « صدى باريس » في كانون الاول من عام ١٨٩١ · وقد قام اوسكار وايلد بترجمتها الى اللغة الانكليزية بعنوان « المارد الاناني » في الجريدة نفسها · وكان اوسكار وايلد يعلم تماما بوجود شخص مثل ستانيسلاس كويته ــ مثيلا لروبير دي مونتيسكيو ، مع اضافة لمسات شعوذة ــ الذي طبعت له في ذلك الوقت (عروس الشعر السوداء) وقوبلت بحفاوة « تعاطي الافيون والحشيشة والافسنتين » الذي كان يثير عند متعاطيه نشوة السكر الآثمة ، وكشف اسرار المعرفة النهائية · ونشر ستانسيلاس دي كويته كتابا اخر عنوانه الاشباع ، وقد صدره ايضا

بعبارة اهداء الى (موريس رويان) وهو يدور حول الحيوانات مصاصة الدماء · وقد كانت اشعار رويان تقرأ علنا في ملهى « القطة السوداء »· ويظهر انه من المستحيل ان لا يتواجد اوسكار وايلد في احدى تلك المناسبات ولكنه مع ذلك عاد الى لندن ، وهو يشعر انه لم يكن الصوت الوحيد الذي يصرخ في فراغ اجوف ، انما هو جزء من التيار المعاصر للادب الاوربي ·

ويقول فيفيان هولاند ابن اوسكار وايلد عن ابيه :

« لقد كتب الكثير من الكتب ، وفي العديد من اللغات عن اوسكار وايلد ، اكثر من اية شخصية ادبية عاشت خلال المائة عام الماضية ، ولكن حينما يرجع الناس الى الماضي ابعد فأبعد فانهم مضطرون لافتراض فصل صورة الشخص عن انسانيته · وحينما يكتب عنهم الناس الاخرون ، فانهم يقطعونهم اربا اربا ليجعلوهم متناسبين مع النموذج الذي يصورونه حتى لا يبقى منه دم او لحم · والكثيرون من الذين كتبوا عن اوسكار وايلد ، اعتبروه كالخنفساء تحت المجهر ، فهم يفحصونه ويدققون فيه ويحللونه باعتباره قضية نفسية ـ وليس كائنا بشريا على الاطلاق · واذا ذكروا اية صفة من الصفات الانسانية فهي ليست الا جملة اعتراضية ، وكملاحظة تدعو الى العجب والاستغراب · ومع ذلك فان اكبر ظاهرة بارزة في شخصية اوسكار وايلد ، انما هي انسانيته العظيمة المتمثلة في حبه للحياة وحبه لاصدقائه وتعاطفه مع العذاب

والالم • وقد كان اكثر الناس حبا وحنانا ورقة ، كما كان يكره ان يرى انسانا يتعذب • ولم يذكر اي من مؤرخي سيرة حياته ، حتى فرانك هاريس افتراض انه قام او ساعد على عمل رديء • وهناك قصص كثيرة رويت عن مساعداته للناس الحزانى حتى يوم كان يعاني من الفاقة والعوز • ففي مرة من المرات اكتشف اوسكار وايلد في سجن ريدنك جيل ، ان ثلاثة اولاد قد حكم عليهم بجريمة سرقة الارانب ، وكانت الغرامة مما لا يقدر عليه هؤلاء الاولاد ولا آباؤهم ، فحكم عليهم بسبب ذلك ، فأرسلوا الى السجن بسبب عدم دفع الغرامة • وهذا لا يصدق في الوقت الحاضر طبعا ، ولكن قبل ما يقرب من المائة عام يمكن ان يحدث ذلك صراحة • فحزن اوسكار حزنا عميقا لهؤلاء الاولاد الذين كانوا بعمر ولديه الصغيرين ، وفي الوقت الذي كان يجب ان يمرحوا مرح الطفولة البريئة ، لا ان يعاملوا معاملة وحشية • فدبر اوسكار لقاء مع احد حرس السجن الذي كانت تربطه به علاقة ودية ، وطلب منه ان يتحرى في ما يجب عليه ان يفعله لمساعدة هؤلاء الاولاد الصغار ودفع الغرامة عنهم • ورجاه ان يفعل ذلك من اجله • عليه ان يبعد هؤلاء عن السجن • وكان يرجو ان يتمكن من دفع الغرامة عنهم ، ليساعدهم في الخروج من السجن ، ثم طلب من الحارس ان يخبر الاولاد بأنه ان امكن دفع الغرامة عنهم ، فانه سيطلق سراحهم غدا ، على ان لا يخبرهم باسمه ، وطلب ان يمرحوا ولا يخبروا اي انسان • وهكذا اطلق سراحهم •

الفصل الرابع

اعماله الادبية

كان على اوسكار وايلد ان يحافظ على اللقب الذي كان جديرا بحمله اذ انه في عام ١٨٨٨ اصدر مجموعته القصصية الاولى تحت عنوان « الامير السعيد وقصص اخرى » · وبعد ذلك بثلاث سنوات اصدر مجموعته الثانية « جريمة اللورد آرثر سافيل وقصص اخرى » · ولا بد من الاستنتاج ان « الغثيان » تذكرنا بعمل فلوبير وغوتيير وادغار الان بو وهانس كريستيان اندرسون ، ولكن هؤلاء لهم خصائصهم الذاتية ونكهتهم الادبية · والافكار التي عبرت عنها « الغثيان » كانت تشاؤمية : فالامير السعيد تخلى عن جميع ممتلكاته دون مبرر ، فهو لم يجن اي عرفان بالجميل ، ولم يفهم احد منه سبب تقديمه تلك الثمرات ، اذ ان العندليب يسدد صدره نحو عوسجة ، فيغرزها في قلبه ، لانه يريد ان تزهر له وردة حمراء يهديها الطالب الى حبيبته بعد ان تصطبغ بحمرة دم العندليب ، وحينما اهدى الطالب الوردة الى حبيبته ، لم تبال بها ، بل القتها على الارض فسحقتها عجلات عربة مرت

عليها · ولكن بعد قراءة قصص اوسكار وايلد لا يخرج المرء بنتيجة ، الا انها مأساة · وان طبيعته وحبه العميق للدعابة وجمال موهبته المطلق اعادت قسوة عذاب الفكر · وقصص اوسكار وايلد القصيرة ما زالت تقرأ بشغف كبير · وحينما طبعت لاول مرة طبعة انيقة وغالية ، عجلت في ارتفاع شهرته ·

ان نجاح قصص اوسكار شجعه ليحاول طموحات اكبر · ففي عام ١٨٩١ ظهرت اول واخر رواية له ، هي - صورة دوريان غراي · فلم يتباطأ النقاد في الاشارة الى ان موضوعها قد عولج من قبل في قصة « ملموث المتجول » لماتيورن وفي قصة (بلا احزان) لبلزاك و (صورة اوفال) لادغار الان بو ، بل حتى في قصة (دكتور هيكل والمستر هايد) لستيفنسون · ومع ذلك فان اوسكار اعطى هذه القصة العتيقة انعطافا جديدا ، كما ان معالجته الاصيلة لها انقذتها من تهمة الانتحال او السرقة ·

ان هذه الرواية تدور حول اللورد هنري دوتون المفكر المثقف والفنان الذواقة الذي رأى في مرسم صديقه « بازيل هالوود » اللوحة التي كانت على وشك الانتهاء ، وهي تمثل شابا وسيما وانيقا · وهكذا ابدى رغبته في مقابلته · فوجده لا يقل جمالا في حقيقته عن الصورة · لكن (اللورد هنري) انهى صداقته له وقرر ان يجعله اداة لنظرياته في الجمال ،

وليس في الاخلاق ــ وحتى في لا أخلاقيته ــ في الجوهر ٠ وباختصار فان رقته غير المحدودة فرضت على الشاب اعتناق مذهب « وولتر بيتر » في حياته الخاصة :« حيث ظل متلهفا لخلق افكار وانطباعات جديدة » ٠ وان « دوريان غراي » هو اسم الشخص الشاب الوسيم الذي سقط تماما تحت تأثير سحر الرجل الهرم ٠ وكان يرى نفسه بمنظار الاخرين ، وهو مغرم بجماله ، فحققت رغبته في بقاء روائه الجسمي ، فلا يمسه الزمن بشيء ولا يسفهه الاثم ٠ والصورة وحدها هي التي تتغير ٠ وهذا ما اغرى الممثلة الشابة التي وقعت في غرامه بالانتحار ، فظهرت اول مسحة من القسوة على فمه الوردي في اللوحة ٠ وحينما كان يحاول نسيانها بخوضه تجربة حسية جديدة ، بدأ الوجه في اللوحة يتقشف ٠ انه لم يعد يتجرأ على اطلاع احد على اللوحة ٠ وحينما رآها « بازيل هالوود » قتله دوريان في لحظة من لحظات الرعب الهستيرية، فعكست اللوحة هذه الجريمة التي اقترفها ٠ وفي النهاية حاول تمزيق اللوحة ، واثناء محاولته طعن اللوحة ، طعن صدره ، فندت عنه صرخة مدوية ، جعلت الخدم يهرعون من غرفهم نحو غرفة دوريان ، وقد انتابهم الفزع ، وحينما دخلوا الغرفة وجدوا صورة مخدومهم الرائعة المعلقة على الجدار كما رأوها اول مرة ، اذ تميزت صورة لدوريان غراي بشبابه وجماله العارم ٠ وعلى الارض رقد رجل فاضت روحه وهو في ملابسه الليلية ، وقد غرزت سكين في صدره ، ووجهه ذاو متغضن ، يشمئز منه النظر ٠ ولم يتمكنوا من التعرف

عليه الا بعد ان تفحصوا الخواتم في اصابعة ·

اذا اعتبرنا هذه الرواية مجرد « حكاية خرافية اخلاقية » فالكتاب يبدو عندئذ كأنه هجوم على مذهب أوسكار وايلد الجمالي · وهذا يثبت ـ اذا دعت الحاجة الى اثبات ـ ان « الفن للفن » يقودنا بقوة الى مذهب « اللذة للذة » ، ولكي يستمر تذوق التوابل فلا بد من تذوق توابل اشد لذوعة ·والذي يقتنع باللذة فانه لا بد ان ينتهي به المطاف بالعثور على (السعادة في الجريمة) · وفي رد اوسكار على النقاد ، اعترف بذلك · وقال « نعم · » في رسالة الى جريدة « الغازيت » للسنت جيمس ·

ويقدر النقاد ان هناك قضية اخلاقية مريعة في قصة دوريان غراي حيث لا يمكن اكتشاف الشهوانية الشبقية التي فيها ، لكنها يمكن ان تنكشف لذوي العقول المتفتحة · فهل هذا خطأ فني ؟ يخشى ان يكون ذلك ـ انه الخطأ الوحيد في الكتاب ·

لو كانت القضية الخلقية في رواية صورة دوريان غراي حقيقة ثابتة فان فحوى الكتاب ، وكل مناخه الفكري ، لا شك يختلف عن ذلك وبصورة مغايرة · وليس هناك من اعماله الادبية ما وفر له البهجة والسعادة ـ باعترافه هو ـ مثلما وفرته له هذه الرواية · لقد سرته هذه الرواية كثيرا ، لانه تمكن من ان يعبر فيها عن مشاعره وارائه الذوقية في

الجمال . وهو كأي انسان كان مرغما لعدة سنوات للقيام بعملية تنظير الجماليات الداخلية ، حتى اصبحت العملية في النهاية جزءا من البيت الذي كان يقوم بتزيينه بنفسه . وهذه الرواية فتحت لاوسكار وايلد المجال للتعبير عما في ذاته بحرية اكبر مما كان بامكانه ان يفعله في كتاباته النقدية . « اعط الانسان قناعا وسيخبرك بالحقيقة » . وهكذا كانت الشخصيتان في الرواية ، انما هما اوسكار وايلد نفسه . وتقول مادلين كازاميان :

« انهما اوسكار وايلد ، المزدوج الشخصية في روايته ، فهو قد تقمص افكار احد البطلين ، وعبر عن احاسيس ومشاعر الاخر ، وكان هذا بسبب طبيعتيهما اللتين لا يمكن تجاوزهما . » (١)

ان الكتاب محير ومعقد . فان البعض استعمل اقسى الالفاظ ، وهي « التفسخ » وذلك ليس بسبب وجود شيء غير اخلاقي فيه ، اذ ان كتابات اوسكار وايلد تتسم بعدم وجود اللااخلاقية ، لكن المناخ الشعوري الذي يقتحمه القارىء انما هو شاذ بكل تأكيد . ومقطع صغير منه يوضح لنا ذلك :

« وخرج اللورد هنري الى الحديقة ، فوجد دوريان

---

(١) مادلين كازاميان : الرواية والافكار في انكلترا ـ الجزء الثاني ـ باريس ١٩٣٥ Roman et les idées en Anglterre

غراي يدفن وجهه بين ازهار الليلك المنعشة يستاف عبيرهـا كأنه نبيذ كريم · ودنا منه ثم وضع يده على كتفه وقال فـي صوت خافت : ـ ها قد عرفت طريقك الى الخلاص يا دوريان لا شيء يمكنه ان يطهر الروح الا اللذائذ الحسية ، كما لا يمكن لاي شيء ان يطهر اللذائذ الحسية ما عدا الروح ·· وليس هناك الا وقت قصير لشبابنا الذي سيذوي وهو خليق ان يذوي ·· ان الازهار السانجة النامية على المبطاح تذبل مع الخريف ، ولكنها تتجدد في مقدم الربيع ، وهذه الشجرة الصفراء التي تتوهج الان امام عينيك سوف تسترد ما عليها من نضار في مثل هذه الايام من العام القادم ، ولســـوف تكسو النجوم الحمر ادواح الداليا بعد شهر واحد ، وتلمع تلك النجوم في ليل اوراقها الخضر سنة بعد اخرى ، امـا نحن فشبابنا المهراق لا يعود ، واشواقنا تخبو وافراحنا تهن ابداننا وتنطفيء حواسنا ، ونؤول الى دمى كريهة لا نفـــع فيها ، دمى تحن الى ما فات ، وقد كانت ترتعب في القديم من نداء السعادة ، وتتأوه على المغوايات الحلوة ، وقد كانت لا تجرؤ على اطاعتها ايام الشباب · فحي الشباب ، انـه كـل ما في الدنيا من صور النعيم » ·

ان رواية صورة دوريان غراي هي اول اعمال اوسكار وايلد الكتابية التي اوضح فيهاالحب الشـاذ (الجنســـية المثلية) ، هذا الحب الذي لم يجرؤ على البوح به آحد مـن قبل · وان هذا يؤدي بنا الى نكران ان اوسكار وايلد كان

(جنسيا مثليا) اي لوطيا بالفطرة ، وشاذا في علاقـــات الحب ، اي (جنسيا مثليا) · بل ان زواج اوسكار وانجابه ولدين ، هما برهان ساطع لنقد هذا الرأي · فهو ربما يكون (جنسيا مثليا) اي لوطيا سلبيا (انثويا) ولفترة ما ، لـم يلحظ هو بنفسه هذا · ولم يثر اية فضيحة في اوكســفورد طيلة ايام دراسته فيها · لذا يفترض انه قد مارس لاول مرة ، تجربة الحب الشاذ (الجنسية المثلية) مع روبرت روس الذي التقى به وهو طالب في اوكسفورد عام ١٨٨٦ · ولكن فـــي السنة التي سبقت ظهور رواية صورة دوريان غراي كان قد التقى بشاب اخر هو الذي توغل به اكثر فأكثر الى الكارثة النهائية · لقد طرق القدر الباب في شارع ١٦ ثايت فـــي شخص الشاعر الشــيخ ويكها ميست لينونيل جونســون ، اللوطي الاوكسفوردي الشهير الذي شرع بهذه الممارسات مع اللورد الفرد دوغلاس ، وهو الشاب الذي قاد اوسكار وايلد الى الكارثة ·

ان عام ١٨٩١ كان نقطة تحول في مجرى حياة اوسكار وايلد في اكثر من طريق · ولم يعد بالامكان ، كما كان يحدث في الثمانينات من طرده بسبب كونه مجرد مهرج · فما عاد الناس يولعون بفكاهاته · فوجه لهم الضربة تلو الاخرى بعد ان تمكن من ترسيخ شخصيته الادبية ، فأصبح بطل زمانه · وان امكانياته الفذة في الحوار ، وسحر شخصيته الفائــق فتحت له المجالس حتى التي تتعصب ضده · ولكن ليـــس

اعداؤه وحدهم بدأوا يشعرون بعدم الراحة حينما اخذ يحقق انتصاراته • فظهرت في سلوكه روح انعزالية ، وقناعـــة جديدة بالمعايير الحياتية اليومية التي يتوجها التعصب • وفي نفس هذه السنة ١٨٩١ نشر شيئا من كتاباته الاولى مـــع اضافـات تحـت عنـوان (مفاهيم Tentation) ومع ان القراء كانوا مبتهجين بنباهة العديد من دعاباته ، لكنهم ايضا كانوا يرتعبون من مبادئه وافكاره ، فكانوا يقبلون عليها في حذر شديد •

لكي يحب المرء سيكون على عتبة بداية الحياة الخيالية المديدة •

والطريق الوحيد للتعويض عن اناقته الفارهة ، هو ان يكون مثقفا فذا •

وفي جميع القضايا التافهة يكون الاسلوب ، وليـــس الاخلاص هو الضروري •

وفي جميع القضايا المهمة يكون الاسلوب وليس الاخلاص هو الضروري •

ان الواجب الاول في الحياة هو ان تكون متكلفا بقدر الامكان • اما الواجب الثاني فلم يكتشفه بعد اي احد •

ليس كل جريمة مبتذلة ، لكن كل ابتذال هو جريمة ·

والشر اسطورة اخترعها شعب فاضل ·

هناك شيء مأساوي عن عدد ضخم من الشباب ، هنا في لندن في اللحظة الحاضرة ، وهم يبدأون حياتهم بصور مثالية ، وينتهون باحتراف مهنة مجدية ·

وكما لو كان اوسكار وايلد يريد اثارة حيرة الناس الذين ما زال يصفهم باستعراضه النصف شهري ، في صحيفة (روح الانسان في ظل الاشتراكية) وهو يدافع عن الاشتراكية على اساس انها تحرر الجماهير الشعبية من الاستغلال وتنقذهم من الاضطهاد الذي تسلطه قلة من الافراد المستغلين الجشعين ، فيحرمون تلك الجماهير حتى من ابسط ضرورات الحياة · افلا يجب ان يعامل مثل هذا الانسان بجدية ؟ بكل صراحة ، لا · لانه هو نفسه قد انكر الاخلاص لمثل هذه المثل النبيلة ، واعتنق المذهب الذي يدعو الى التأنق والتسكع ، وهو الفنان الفطن ذو البديهة الحاضرة كما وصفه آرثر سمونز فيما بعد ·

وكان اوسكار وايلد ، حتى هذه الساعة قد عالج باللغة الانكليزية فنون الادب نثرا وشعرا ، فبدا له في باريس ان يرد التحية للفرنسيين بتأليف مسرحية بلغتهم ، واختار لذلك

موضوع « سالومي Jaiome » . ولعله كان متأثرا في اختيار موضوعها بقصة الاديب الفرنسي غوستاف فلوبير ، وفي اسلوب تناولها بالاديب البلجيكي مترلنك ، اشهر كتاب المسرح الرمزي . وهكذا كتب اوسكار وايلد عام ١٨٩١ مسرحية سالومي باللغة الفرنسية ، وقدمها باهداء الى الاديب الفرنسي بيير لوي . ومن المحتمل ان يكون بيير لوي قد هذب له لغتها . وفي لقاء له مع الممثلة الفرنسية ساره برنار في حفلة اقامها الممثل الانكليزي هنرك ايرفنك وافقت ساره برنار على القيام بتمثيل دور البطولة فيها . وعن سبب كتابته لهذه المسرحية باللغة الفرنسية اجاب :

« لدي اداة واحدة اعرفها وهي طوع امري ، تلك هي اللغة الانكليزية ولدي اداة اخرى ، وقد استمعت اليها طول حياتي ، فأريد ان استعمل هذه الاداة مرة واحدة ، لارى فيما اذا كنت استطيع ان اصنع منها شيئا جميلا .. وان الشيء الملفت للنظر يأتي من حقيقة كون مترلنك فنلنديا وقد كتب بلغة اجنبية » .

وبصدد هذه المسرحية ركز (ماريو براز) على النقطة نفسها بطريقة عدائية اذ صرح قائلا :

« انها مقتبسة من مسرحيات مترلنك ، حيث استمد الثرثرة الطفولية التي استخدمها على لسان شخصيات

مسرحية سالومي ، التي اضعفت الاتجاه الشهواني في قصة فلوبير (اغراء) وجعلتها في مستوى قصة تربوية للاطفال »·

وكان براز يستغرب ان تكون كل الاشياء بقصد المزاح ، لكن حتى وان وافق على ان اوسكار وايلد قدم فكرة جديدة ـ وشريرة ـ في القصة الاسطورية وذلك بجعل سالومي تقع في غرام يوحنا المعمدان ، خاصة حينما يظهرها وهي تقبل الشفتين في رأسه الذبيح في شهوة عارمة لمضاجعته وهو ميت · وقد وجد ماريو براز شبها لهذا ايضا عند الشاعر الالماني هايني من بين مصادر اوسكار وايلد المعروفة ·

وقبل ان يتم تمثيل مسرحية سالومي اثير لغط وضجة حولها ، وقد اشرفت المسرحية على نهايتها من ناحية الاعداد المسرحي · ومن المحتمل ان يكون اللورد تشمبرلن قد رفض اجازة المسرحية · فهدد اوسكار وايلد بنفض غبار لندن عن قدميه ، وان يعيش في باريس ـ مقام الفنانين · وربما يكون الاحسن له لو كان قد فعل ذلك · وفي باريس لم يتمكن اوسكار وايلد من الوصول الى تحقيق نجاح ولو محدود ، لكن المسرحية مع ذلك طبعت هناك عام ١٨٩٣ · وفي السنة التي تلت ظهرت ترجمتها الانكليزية الشهيرة · وهذه الترجمة قام بها صديقه الحميم الفرد دوغلاس · لكن لم يكن هذا النص يفي بالغاية ، بل كان يحتاج الى مراجعة شاملة · وما ادى الى شهرة المسرحية انما هو الصور التي رسمها الفنان

« اوبري بيروسلي » . اما اوسكار وايلد فلم يرض بتلك الصور ، ولم يحبب عمل « بيروسلي » على الاطلاق . فحينما ظهر العدد الاول من الكتاب الاصفر عام ١٨٩٢ اطلق عليه عبارة « بليد ، تعافه النفس ، وهذا فشل كبير ـ وانا مسرور جدا » ، وحتى لو وافق اخيرا على ان (ماكس بعد التزيينات) كان « رائعا » فهو لم يتعاطف كثيرا مع حركة (التسعينات) التي نفخ فيها روحا جديدة . وبالتأكيد فان صور الفنان « بيروسلي » لمسرحية سالومي قد اضافت لمسات شيطانية ضافية الى الكتاب الذي رفع من شهرة اوسكار وايلد قليلا .

في هذه الاثناء حدث ما شغل اوسكار وايلد عن هذه المسرحية التي تعذر تمثيلها بمسرحية اخرى مرشحة للتمثيل من قبل اشهر ممثل في زمانه هو « جورج الكسندر » . والكسندر هو الذي طلب منه ان يكتب مسرحية بموضوع عصري لما توسم في اوسكار وايلد من موهبة مسرحية . وما ان حصل على دفعة مالية محترمة هي (١٠٠) مائة باون ، حتى بادر الى الكتابة فأنجز اربعة فصول في شهرين ، واختار لها عنوان « الليدي وندرمير » نسبة الى بلدة انكليزية في منطقة البحيرات شمال انكلترا ، ثم سماها بعد ذلك « مروحة الليدي وندرمير » . وحينما قدمت للمسرح اختار لها عنوان « مروحة الليدي وندمير » . وتعتبر هذه المسرحية هي الهزلية الاولى لاوسكار وايلد عن الحياة العصرية ، فاذا رواد المسرح يجدون مرة اخرى تلك الضحكة وتلك الدمعة

التي هم مولعون بهما • ولكنهم هذه المرة يجدونها في شكل جديد اكثر جدارة وارفع كفاية ، فلا غرو اذا رأينا رواد المسرح الذين سئم سوادهم « مسرحية الافكار » ، فيقبلون على هذا المسرح القديم الجديد بحماسة ظاهرة • وما من شك في ان مسرحية (الليدي وندرمير) تستحق ما لاقته من نجاح منذ ليلتها الاولى في العشرين من كانون الثاني ١٨٩٢ على مسرح سانت جيمس • وكانت الدار مزدحمة تلك الليلة بالشذاذ من رجال الادب والفن • ولكن لندن كلها ما لبثت ان نزلت على رأيهم في الاعجاب بالمسرحية ، وخرجت الصحف المعادية لمؤلفها على سابقة عدائها ، فخلعت للمرة الاولى قلائد المديح ، وشهد له اعلام الادب بأنه على قلة جده ينطوي على فنان جاد • وعلى خشبة المسرح لم يكن الفصل الاول قد انتهى حتى ادرك جميع من كانوا يشهدون المسرحية في ليلتها الاولى في مسرح سانت جيمس انهم لم يضيعوا امسيتهم • وكان نزول الستار بعد كل فصل بمثابة الايذان بعاصفة من تصفيق الاستحسان •

ويمكن اعتبار المسرحية فيما يتعلق ببنائها من النوع الذي اصطلح رجال المسرح على تسميته (المسرحية المتقنة البناء) وهي التي يعنى مؤلفها شديد العناية باستنباط الوقائع ـ وان يكن بعضها قليل الشبه بالواقع ـ وتاليفها في حبكة بارعة بحيث ينقلب الموقف في كل آن بما ليس في الحسبان ، وأخيرا بعد الكثير من المطل والمطاولة يكون حل

العقدة او العقدة مفاجأة مثيرة غير منتظرة · وهذا هو نوع المسرحية الذي صار على يد كاتب المسرح الفرنسي (اوجين سكريب) مسألة آلية · وقد راعى اوسكار وايلد في مسرحيته الا تتجاوز وقائعها الاربع والعشرين ساعة ، اي انه تقيـــد بالنظريات القديمة المنسوبة الى ارسطو ، والزم نفسه قواعد المسرح الكلاسيكي الذي اقام راسين وكورني عهده الذهبـي في القرن السابع عشر ·

ونحن نجد في هذه المسرحية نماذج مـــن المجتمـــع الانكليزي من النبلاء المتحذلقين والفاسدين في ان واحد ، تلعب بهم الاهواء والمخاتلة والدسائس ، يحاول بعضهم ايقاع البعض الاخر بأسلوب مليء بالفكاهات والدعابات والمفارقات الساخرة ·

وفي اوائل عام ١٨٩٣ كتب اوسكار وايلد مسرحية اخرى هي مسرحية « امرأة غير ذات قيمة » ، التي مثلت عـــلى المسرح الانكليزي في التاسع عشر من نيسان من العام نفسه ، اي ١٨٩٣ · وقد قام باخراجها وتمثيلها السير بيير بوم تري ١٨٥٣ ــ ١٩١٧ في مسرح هيماركيت بلندن ·

ان هذه المسرحية تعرض قضية فتاة خدعها شاب خليع بوعوده البراقة الكاذبة ، حتى اذا اسلمت له نفسها عـــاد فحنث فيما وعدها به من الزواج ، ولم تنجـــح ضراعتهـــا

ولا نصائح ابيه في ايقاظ ضميره والبر للفتاة بوعوده ·· ولا تملك الفتاة الا ان تحمل وليدها وتنأى به الى مكان سحيق وتغير اسمها فتدعو نفسها مسز اربوثانت ، وتخوض معركة جهاد مضن شريف ·· وتمضي عشرون عاما ·· ويكبر ابنها، ويلقى احد اللوردات الذي يعجب به ويعرض عليه ان يتخذ منه سكرتيرا له ، ويستشير الشاب امه ، فاذا ذكر لها اسم اللورد ، فهي تنصحه بأن لا يقبل المنصب ·· ويلح الفتى في معرفة السبب فلا تملك الام الا ان تخبره ، بأن اللورد هو ذلك الشخص الدنيء ·· النفورث ، الذي اعتدى عليها منذ عشرين عاما ·· فكيف تطيق ان يعمل ابنها عنده ·· والام هنا لا تخبر ابنها بأن هذا اللورد النفورث هو ابوه · انها تؤجل البوح بهذا السر الى حادث تال · وذلك حينما يهوى ابنها الفتاة التي يغريها اللورد النفورث لانه لم يفارقه طبعه في مغازلة الحسان ، فيحاول ان يفوز بقبلة من الفتاة على مشهد من جيرالد ـ الابن ـ فيثور جيرالد ، ويهم بقتل ابيه اللورد ، لولا ان تتدخل امه في اللحظة الحاسمة ، وتخبر ابنها ان اللورد ليس شخصا اخر غير ابيه ·· ابيه صاحب الجريمة القديمة · وهنا يحاول الابن ان يصلح بين الام والاب · ويحاول ان يقنع والدته بأن تصبح زوجة للورد ، لكن الام ترفض رفضا تاما ان يكون هذا المجرم الحانث زوجا، وتشجعها الفتاة على هذا الموقف ، وتقترح ان يهاجر الثلاثة : الام والابن والفتاة الى اميركا بعيدا عن حياة لندن الموبوءة، ليكافحوا من اجل حياة جديدة ·

والمسرحية كما نرى لا تختلف عن جميع هزليات اوسكار وايلد الاربع فهي تشتمل كسائر هذه الهزليات على عنصر المفاجأة ، وعامل التحول الذي يظل خافيا علينا حتى نفاجأ به، وتفاجأ به بعض شخصيات المسرحية في مرحلتها الاخيرة ٠ وهذا العنصر هنا هو اتضاح او انفضاح ٠٠ شخصية النفورث لابنه وهو يهم بقتله ٠

ولعلنا نلمس هنا اثر ابسن في رسم شخصية الام التي ترفض التزوج من النفورث الذي اقدم على جريمته القديمة معها ، وحنث بوعده لها منذ عشرين عاما ، هذا وان يكن البون شاسعا بين فلسفة كل من الكاتبين ٠ لان اوسكار وايلد كان لا يحبذ تعبير الفن للحياة ، بينما كان ابسن يتخذ منه اداة لاصلاح الحياة والمجتمع ٠

وفي خريف عام ١٨٩٣ شرع اوسكار بالعمل في ملهاة جديدة ، ذات عقدة اخلاقية تحت عنوان « زوج مثالي Ideal Husband » ٠ وللاضطراب الذي حدث في علاقة اوسكار وايلد مع (بوزي)فانه لم يتمكن من اكمالها حتى السنة التالية ، فأخرجت على مسرح (هينماركيت) في الثالث من كانون الثاني عام ١٨٩٥ فاستقبلت باستحسان رائع من الجمهور ، وان لم تستقبل بمثل هذا الاستحسان من قبل جميع النقاد ٠ وفي المقابلة التي اجريت معه ، وصل اوسكار وايلد الى قمة الاستفزاز ، اذ ان الغرور والغطرسة اللتين حققهما بعد وقت وجهد جهيد قد لعبتا دورا كبيرا في تأكيد

انهياره • فصرح انه (لا يبالي ابدا) بنجاح مسرحيته • فقد كان مشتاقا لان يعرف ان الجمهور هو الذي يقرر النجاح • وان الجمهور يقرر النجاح عندما يميز المسرحية باعتبارها عملا فنيا • وفي الليالي الثلاث التي عرضت فيها المسرحية في لندن اكد الجمهور قراره في هذا النجاح ، اذ كان جمهور النظارة غفيرا ، « انا اريد ان ادعوهم وانا امام ستارة المسرح » •

وفي الثالث من كانون الثاني سنة ١٨٩٥ مثل بير بوم ملهاة اوسكار وايلد « الزوج المثالي » • وكانت ملهاة ناجحة كسابقتيها ، حشد فيها اوسكار من جوامع كلمه وقوارص مفارقاته ـ ولا سيما في الفصل الاول ـ ما لم يحشده في ملهاة له من قبل ولا من بعد • لقد كانت مسرحية الزوج المثالي اللطمة الثالثة التي وجهها اوسكار الى وجوه ناقديه فأفحمتهم والزمتهم الصمت ، وجعلتهم يؤمنون بأنهم امام الكاتب الذي احيا سنة كاتب الملهاة الانكليزية واعظم روادها وليم كونغريف ١٦٧٠ ـ ١٧٢٩ وزعيم الملهاة السلوكية الاشهر الذي ضاع في زحمة كتاب المسرحية الملهاة الهابطة في فترة عودة الملكية في انكلترا ، وظلمه ناقد جيرمي كولليير (١٦٥٠ ـ ١٧٢٦) حتى جعله يعتزل التاليف المسرحي • اما اوسكار وايلد فقد استطاع ان يقاوم تيار مسرحية الافكار ومسرحية المشكلة ، وان يعيد للملهاة الانكليزية تيارها الجارف الذي خلقه لها كونغريف من الضحك الخالص الذي

يفضح مع ذلك على سلوك العلية وينشر فيها مخازيهم ، الامر الذي لم يسبق اليه اوسكار وايلد غير الكاتب الايرلندي الفذ رتشارد برنسلي شريدان ١٧٥١ ـ ١٨١٦ مؤلف ملهاتي الغرماء ومدرسة النميمة ٠

تدور عقدة ملهاة الزوج المثالي حول دسائس مسز تشيفرلي ومخادعاتها تلك السيدة التي تبدو عبقرية فذة سحابة النهار ، وغادة تأسر القلوب بجمالها في ظلال الليل ، واننا نراها في مطلع المسرحية وهي تتألق في حفلة مسائية اقامها لورد وليدي شلتون في قصرهما في لندن ٠ ولا تلبث الليدي شلتون ان تتبين فيها احدى صويحبات الدراسة التي طردت من المدرسة بسبب سرقة ارتكبتها ٠ وكذلك يعرفها روبرت شيلتون ايضا ، وان لم يبح بسرها لزوجته ٠ وروبرت هذا في الاربعين من عمره ، ويعمل وكيلا لوزارة الخارجية وهو معروف مشهور باستقامته ونقاء سمعته ، وان يكن قد ارتكب اثما شنيعا قبل ثماني عشرة سنة ٠ ذلك ان شهوته الى اقتناء المال والحصول على الثروة في ذلك الوقت جعله يبيع احد اسرار الدولة بمبلغ طائل من المال ٠ وتفلح المسز تشيفرلي في الحصول على الخطاب الذي يدين اللورد روبرت شيلتون ، وهي تستعمله الان لابتزاز ما تشاء من الاموال منه ٠ ثم تجعله يعطي موافقته على احد المشروعات المقدمة للوزارة وهو المشروع الذي كان يعارضه معارضة شديدة ٠ ولا يملك المسكين اخر الامر الا ان يوافق انقاذا لسمعته من

الفضيحة · وعندما تعلم زوجته بتحوله عن رأيه في المشروع المذكور ، وهي لا تدري سبب هذا التحول ، تشعر بصدمة شديدة تؤرقها وتنفي عن عينيها طيب المنام ، حتى يضطر روبرت الى الكتابة الى مسز تشيفرلي يخبرها انه لن يستطيع البر بوعده في الموافقة على المشروع اياه · وفي اليوم التالي تزور المسز تشيفرلي ، الليدي شيلتون ولا تلبثان ان تتشاجرا شجارا عنيفا تضطر في نهايته مسز تشيفرلي ان تبوح لها بسر الجريمة القديمة ، ويمنح اللورد شيلتون منصبا وزاريا يزيده ثراء على ثرائه ·

واذا انتقلنا الى مسرحية اوسكار وايلد الرابعة وهي مسرحية « اهمية ان يكون المرء جادا » نجد ان مؤرخي اوسكار وايلد يقولون انه كتب ملهاته هذه ـ وهي احسن مسرحياته الملهاة ـ في ثلاثة اسابيع · وقد كتبها في الفترة التي ذهب مع عائلته الى ضاحية وذرنك بمقاطعة سكسي في منزل رقم ٥ ش اسبلانيد لقضاء فترة من الراحة والدعة · فهذه المسرحية في نظر مؤرخي المسرح تعتبر حدثا عظيما تستحق ان نسجل جميع حركات المؤلف التي مهدت لها وتمخضت عنها · ورجع اوسكار الى لندن ليحضر الليلة الاولى بعرض مسرحيته هذه ، اهمية ان يكون المرء جادا · وكان ذلك في الرابع عشر من شباط عام ١٨٩٥ وهي سنة كارثة اوسكار وايلد ومحنته · وهذه المسرحية تعتبر احسن مسرحياته على العموم ، اما الثلاث مسرحيات اللائي سبقنها ،

فقد ظهر فيهن التكلف والتصنع بينما كانت هذه المسرحيــة تحوم فوق التصنع وتحلق في عوالم الخيال ٠ ومع ذلك فهــي كما يخال اكثر ارتباطا بالمذهب الطبيعــي مــن الهزليـــات الاخريات ٠ وليس هناك سلسلة جمل ولا كلمــات لا جــدوى منها ، ولا مشاهد (عنيفة) ولا (فصول) ٠ فنحن نتقبــل ابداع طفل في حقيبة يد في مخزن البضائع المهملة في محطة فكتوريا تليه تعقيدات ، الواحدة تلو الاخرى ، وبدقة رياضية، وشخصية المسز براكتيل انما هي خلق حقيقي ٠ وهكذا يجب على مثل هذه المرحومة السيدة الفيكتورية الكبيرة ان تتحرك وتتكلم ٠ فالذكاء لا يرتبط بالشخصيات ، انما هو يفيض عن المواقف ٠ والشيء كله برقة الهواء ، وهو يظل نقيا ومبهجا في الوقت الحاضر ، مثلما كان اول ما كتب ٠ فالجمهور في عرضها الاول استقبلها بفرح طاغ ، وحتى النقاد في هـــذا الوقت كانوا قد اجمعوا على الثناء عليها ٠

وهذه هي الملهاة الخفيفة ، او المهزلة اللطيفة التي جعل منها اوسكار وايلد ، سمفونية (قصيدة موسيقية) ســاحرة تخلب الالباب بجمالها ، فاذا بحثنا فيها عن موضوع لم نجده لان انصار الادب الجمالي ـ كأنصــار الفــن الجمــالي لا يخضعون ادبهم او فنهم لدنيا المشاكل وقضايا الحياة ، انما هم يصنعون جمالا ٠ ثم لا بأس ان يخرجــوا لخصومهــم السنتهم خلال العمل الفني ليسخروا منهم وليستهزئوا بهم ، وبأهل العلية من المجتمع وبأدعياء العلم والمتطفلين عــلى موائد المعرفة ، ومن لم يصلوا الى قمة الجاه ، الا لكونهــم

فارغين من كل ما يشرف الانسان . واننا لا نكاد نجد صحيفة من تلك المسرحية الضاحكة او غيرها من مسرحيات اوسكار او قصصه خالية من جوامع كلمه ومفارقاته ، من ذلك مثلا سخريته بالثقافة العصرية حيث يقول : « ان الثقافة العصرية تقوم في الغالب على ما لا ينبغي للمرء ان يقرأه » ، او يقول في الحياة العصرية والادب الحديث : « قلما تكون الحقيقة شيئا خالصا لا تشوبه شائبة ، وقلما تكون بسيطة ، وان الحياة العصرية لتكونن جد مملة لو كانت الحقيقة احداهما ، وليكونن الادب الحديث في حكم المستحيل كل الاستحالة اذا كان هذا او ذاك » او يقول في سقم اذواق المستمعين للموسيقى : « انك تعلمين انه اذا عزف الانسان موسيقى لم ينصت له الناس ، واذا عزف موسيقى رديئة لم يتحدث منهم احد » او يقول في مدح الجهل : « اني لا اوافق على ان تشوب الجهل الخالص اية شائبة ، فالجهل اشبه شيء بفاكهة رقيقة مستورة ، اذا مسستها ذهبت عنها نضارتها .. وان نظريات التربية الحديثة في انكلترا فاسدة من اساسها ، ومن حسن الحظ ان التعليم عندنا لا تأثير له ، والا لكان خطرا داهما على الطبقات الراقية » ، او يقول في المتاعب : « اني احب المتاعب لانها الاشياء الوحيدة غير الخطيرة » ، او يقول في وصف علم البعض : « انه رجل من اوسع الناس علما واشدهم تبحرا في المعرفة .. انه لم يؤلف في حياته كتابا واحدا ، ومن ثمة تستطيع ان تتخيل عظم ما بلغ من العلم ».



انها الحقيقة في ان حركة التسعينات قد استمرت ، فلو لم يعد الكتاب الاصفر يستلزم خدمات (بيروسلي) اكثر بسبب علاقته بمسرحية (سالومي) لوجد منقذا اخر بعبقريته في (السافوي) • وان بقية الشعراء الرمزيين وهم من القلائل الذين كانوا من بين اصدقائه الشخصيين ، وممن كانوا يكتبون اشعارهم ويشربون حتى الموت • ولكن هناك قليل من الشك في ان عار اوسكار وايلد قد اثار حافزا جديدا ، وعذرا جديدا للشخص الصاخب (البلوتوقراطي) ـ ربيب النظام الارستقراطي ، المادي النزعة حيث ميز هذه السنوات القريبة من نظام الملكة القديم •

لكن اوسكار وايلد لم يكتب شيئا بعد عام ١٨٩٥ ما خلا رسالته الطويلة الشهيرة الى الفرد دوغلاس بعنوان ـ من الاعماق ، وكان ذلك داخل سجن ريدنك جيل ، ثم كتب بعد ان خرج من السجن (انشودة سجن ريدنك جيل) فقط •

وحينما توفي أوسكار وايلد ، كان عمره (٤٦) ستا واربعين سنة ، وهي السن التي يكتب فيها اكثر الادباء والمفكرين اعظم اعمالهم • فان حياة السجن قد اطفأت جذوة عبقريته ، فلم تعد الى الاشراق مرة ثانية • فلكم كان اوسكار يتحدث عن الكتابة والتأليف ، لكنه حينما كان يريد الشروع بالكتابة فعلا ، كان يتملكه شعور بعدم الثقة ، ويفكر بالمشاكل المحتملة الوقوع •• انه كان يفكر كثيرا في مسألة استقبال الناس لتأليفه الجديدة ، لانه كان يخاف الا يستقبلوها كما كانوا يستقبلون كتبه قبل الكارثة • فظل حتى وفاته يعاني مشكلة امكانية اعادة بناء وترميم حياته الادبية •

الفصل الخامس

الكارثة

ان اوسكار وايلد واللورد الفرد دوغلاس ــ بــوزي ــ كما كان يدعوه اوسكار نفسه ، قد بدأ الان عام ١٨٩٢ يظهران سوية • وقد ينكر ان يكونا متحابين ، الا ان (بوزي) اصر على التصرف كما لو كانا متحابين ، فجعل اوسكار وايلــد يدخل « سافوي » معه من الباب النظامية ــ وقد حاول اوسكار وايلد ان يدخل من الباب الجانبية ــ لكي يراه كل امرىء ، فيقول : « انه اوسكار وايلد وصاحبه » • فلو لم يكن هناك تأثير سيء في علاقتهما ، فان اوسكار توقع ان تنتابه ازمــة مالية ان عاجلا ام آجلا ، لان (بوزي) كان يحب التباهي ، ولانه كان انانيا ، وكثير الطلبات الى حد النزق • وقد كان الفرد دوغلاس ــ بوزي ــ يتملص من دفع اي مبلغ حتى عــن نفسه • ومع ذلك كان يتوقع ان يتمتع بالجلوس في افخــم المطاعم وهو يتزود بأرقى وأغلى انواع اللفائف ، ويتوقع أن تأتيه الهبات في اي وقت يشاء • اما التهمة الموجهة الــى الفرد دوغلاس ، فهي كونه قد بدد وقت اوسكار وايلد اكثــر

مما بدد ماله · وقد كان الفرد دوغلاس متكاسلا جدا ، ويتوقع ان يكون صديقه كذلك · وقد كان عليه ان يعرف ان الطريق الوحيد الذي يكسب به اوسكار وايلد عيشه ، هو لكي يعيش عيشة الامراء ، وعن طريق العمل الادبي · وان الشيء الوحيد الذي يمكن ان يقال لصالح (بوزي) ، هو اسرافه الذي كان يجبر عليه اوسكار وايلد ، ليجرب يده في عمل ادبي اخر ، وهو الطريقة الوحيدة التي يمكن للاديب فيها من نيل المـال بسرعة ، وذلك هو المسرح · فحاول اوسكار كتابة المسرحيات · ويعتقد ان مسرحية (فيرا) قد كتبت في فترة مبكرة جدا من عام ١٨٧٦ · وقد مثلت على المسرح في لندن قبل سفره الى اميركا عام ١٨٩١ ، الا ان هذا المشروع قد اسقط · فمثلت هذه المسرحية في نيويورك عام ١٨٩٣ ، فأبحر اوسكار وايلد ثانية الى اميركا لكي يحضر حفلة الافتتاح بعد ان ارسل الى الممثلة التي تقوم بالدور الاول في المسرحية ، قطعة قمـاش تصنع منها ثوبا ترتديه البطلة في المسرحية وباللون الـذي اختاره اوسكار نفسه · لكن تمثيلها في اميركا قد اوقف بعد اسبوع واحد ·

وان الابتهاج بنجاح مسرحية « زوج مثالي » والمسرحية الرابعة التي كتبها بعنوان « اهمية ان يكون المرء جادا » اثناء التمرينات جعل اوسكار وايلد ، يرحل في اجازة الى شمالـي افريقيا ، مستصحبا معه (بوزي) · ولا شك ان هذا العمـل كان ينطوي على استخفاف كبير بالقيم الاجتماعية · وذلـك

لان والد (بوزي) المركيز كوينز بيري ـ اثار مشكلة ، وهدد بتحطيم شخصية اوسكار وايلد اذا لم يحاول قطع علاقتـــه بابنه والابتعاد عنه · وفي « بسكرا » التقى الاثنان ، اوسكار وايلد والفرد دوغلاس بالاديب الفرنسي اندريه جيد · واندريه جيد في هذا الوقت كون له رأيا عنهما كما اوضح انطباعـه الصريح والجريء الذي خلقاه له اثر هذه المقابلة · فقد وجد اندريه جيد ان (بوزي) لا يثق بالناس وانه اناني و « رديء » واوسكار وايلد بالرغم من تلألؤه في الاحاديث الا انه ظهـر مفعما بنذر الشر · ومن الخير ان نسجل ان حكم اندريه جيد على اوسكار وايلد ، انما كان حكما متكاملا · فالناس لا يمكن ان يتحققوا دائما من الحقيقة والحكمة ، والجدية التي يخفيها قناع المهرج ·

بعد عرض مسرحية اوسكار وايلد « اهمية ان يكـــــون المرء جادا » كانت نقطة الاوج في مجرى حياته ، فتوغل عميقا في الريف لبضعة ايام ثم عاد الى لندن ليجد بطاقة من (اللورد كوينز بيري) في انتظاره ، وعليها عبارة اهانة ، تسلمها فـــي نادي (البيمارل) · فنصحه اصدقاؤه ·· واصدقاؤه الخلص بالذات ان لا يعلق شيئا على الامر · واخبره (فرانك هاريس) ان الضرورة تقتضي الرحيل الى الخارج على ان يأخذ معـه زوجته وطفليه · لكن (بوزي) قام بعمل طائش سبب فضيحة جديدة لعلاقتهما ، وبدون اي اكتراث لمصير اوسكار وايلد ، بل حتى بالنسبة للعار الذي يلحقه باسمه ، اذ رغب في اذلال

والده اللورد كوينز بيري ، وان يقوده الى السجن ان كان ذلك بالامكان • فسمح اوسكار وايلد لنفسه قبول مـــا حثه عليه (بوزي) لان يقوم بعمـــل يتضمن طعنا جرميا ضد المركيز كوينز بيري •

ان تفاصيل المحاكمة قد عولجت بصورة تفصيلية في كتب اخرى (★) • وما فيه الكفاية ان نلاحظ ان عمل اوسكار وايلد قد خاب كما كان يعرف كل امرىء مدرك ، وانه يتجه نحو الخيبة ، فقد القي عليه القبض بتهمة جنائية ، لكنه في المرافعة الاولى لم يتفق المحلفون على ادانته ، فاطلق سراحه بكفالة • وهنا حثه جميع اصدقائه على الهرب ، وعرض عليه فرانك هاريس ان يرحل الى فرنسا على ظهر « اليخت » الذي يمتلكه ، وكان راسيا في نهر التيمس وهو على اهبة الاقلاع به ايضا ، اينما يشاء • لكنه رفض الهرب • وفي المرافعة الثانية ادين اوسكار وايلد على انه مجرم ، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين •

يصعب في الوقت الحاضر بالنسبة لاي فرد في ان يتحقق من المشاعر التي سببتها المحاكمة وقرار التجريم الذي صدر بحق اوسكار وايلد • ففي الوقت الحاضر نجد ان اكثر

★ لقد كتب في هذا الموضوع دراسة مفصلة بعنوان : اوسكار وايلد امام القضاء (باللغة العربية) : الياس ابو شبكة •

الناس يتعاطفون مع فكرة « الجنسية المثلية » اللواط ، بل وهم مستعدون للاعتقاد ان هذا انما هو اقرب الى عيادات الاطباء النفسيين فيه الى مرافعات القضاة والمحامين وقرارات المحاكم • وان وجودها بالنسبة للكثير من الفيكتوريين المتأخرين لم يكن معروفا • لكنما في ذلك الوقت بالذات كان الامر يختلف تماما • فبعد ان كان هذا الشخص في قمة نجاحه ، وبعد ان نشر مسرحيتين رائجتين في لندن ، استمر عرضهما فترة طويلة حتى بعد ان حذف اسم مؤلفهما من لوحة اعلانات العرض ، لان المؤلف قد تحول فجأة الى مجرم • وكان بالنسبة للبعض كأنما حكمه هو امر طبيعي ، بل هو حكم الهي • اما الرجعيون واعداء التقدم فقد مسحوا ايديهم ، اعتقادا ان النجاح دائما هو اهانة لغبائهم ولافتقارهم الذوق الذي قاد الى تلك النهاية الحقيرة •

★★★

في عصر يوم السبت الخامس والعشرين من مايس ١٨٩٥ صدر قرار حكم المحكمة بادانة اوسكار وايلد مجرما ، لانه قد ارتكب عددا من الاعمال التي تتناقض وتعديل القانون الجنائي لعام ١٨٨٧ • فلقد كان اليوم السادس من المرافعة الثانية في (اولدبيلي) ، اذ لم يوافق المحلفون على تجريمه• وفي هذا الوقت كان عمر اوسكار وايلد احدى واربعين سنة• وقد كان الى جانبه في قفص الاتهام شاب مثقف في نحو الثالثة والاربعين يدعى (الفرد تيلر) الذي وجه له الاتهام

معه • وباستجواب اثنين من الدفـــاع اخبرهما القاضي « جاستس ويلز » انه يتوقع ان يجتازا اقسى حكم يسمح به القانون • (وفي قرار حكمي) اضاف القاضي : (انه غير مناسب لمثل هذه القضية ، وان حكم المحكمة هو ان كلا منكما يجب ان يعتقل ويودع السجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنتين» •

وحين صدر هذا الحكم همس بعض الناس من الحاضرين في المحكمة « آه •• » و « واخجتلاه ! » بعد ان تابع هؤلاء المتفرجون المحاكمة • لكن هؤلاء سرعان ما غيروا اراءهم ، واعلنوا استحسانهم لقرار الحكم • وحينما وصلت اخبـار صدور قرار الحكم وتجريم اوسكار وايلد الى الجمهور الذي كان ينتظر في شارع المحكمة ومفارق الطرق القريبة منها ، استقبلوه بعلامات الاستحسان ، حتى اخذ الفرح من جماعات منهم فشرعوا يرقصون في الشوارع • وبالاضافة الى ذلك فان عددا من العاهرات رفعن تنوراتهن وهن طروبات ، حتى ان احداهن صرخت وهي تقهقه بضحكة جشاء قائلة : سلاما ايها الرجل !! وانه سيحلق شعره الآن ••!

وفي الوقت ذاته حاول اوسكار وايلد ان يتفوه ببضع كلمات احتجاجية ، حينما سمع قرار الحكم ، الا ان الحيـرة قد اذهلته • ولكن باشارة من يد القاضي « جاستس ويلز » اقتاد الحارسان اوسكار وايلد الى الزنزانة ، حيث اودع الحبس الانفرادي • وهكذا بدأ يلاقي صنوف العنت والارهاق

داخل السجن · فكان يقدم اليه طعام لا يتناسب اطلاقا مع ذوق انسان كانت له مثل مكانة اوسكار وايلد الادبية · وقد كان الامر بمجموعه مكرسا لتحطيم شخصيته جسديا وروحيا· وبالاضافة الى هذا السجن ، فقد كان يجبر على ممارسة مختلف صنوف الاعمال الشاقة داخل السجن · وان الزنزانة التي كان يقضي فيها اوسكار وايلد ثلاثا وعشرين ساعة من مجموع الاربع والعشرين ساعة يوميا ،كانت ذات تهوية رديئة، وتفتقر الى ابسط الشروط الصحية ، اذ كانت دورة المياه بدائية ومزرية · اما الفراش الذي كان يرقد عليه ، فلم يكن الا وسيلة من وسائل التعذيب ، بفضل ما كان يعرضه الى الارق المرير · وكذلك لم يكن ليسمح له بالكتابة الا مرة واحدة ، واستقبال الزيارات لمدة لا تتجاوز العشرين دقيقة في كل ثلاثة اشهر · ولا بد للرسائل التي يكتبها من ان تعرض على ادارة السجن قبل نقلها من داخل السجن الى خارجه · وهذا ما جعل اوسكار وايلد ، يعبر عن فظاعة السجن بعد خروجه منه بقوله : « أن احدى مآسي حياة السجن هي جعلها قلب الانسان كالحجر » · وان الاربع رسائل في كل عام لا يمكن ان تبقي الانسان محافظا على رهافة حسه لاستقبال مظاهر الرقة والجمال التي تنعش الحياة المحطمة ·

ولم يسمح لاوسكار وايلد في الثلاثة اشهر الاولى ان يصحب معه اي كتاب عدا الانجيل ، وكتاب صلاة وكتاب تراتيل · وبعد هذه الشهور الثلاثة سمح له باستعارة كتاب

واحد في الاسبوع من مكتبة السجن · وهذه الكتب التـي تختارها ادارة السجن انما هي كتب دينية من الدرجة الثالثة· وهذا ما دعا اوسكار وايلد لان يكتب بعدئذ عـن السجن فيقول :

« ان هدف نظام السجن الحديث هــو تحطيم القوى العقلية ، حيث يعامل الانسان في السجن بفصله عن العالم وعزله عن الاتصال بكل ما هو انساني ، وايداعه في عـالم قد إطبق صمته ، ومعاملته معاملة الحيوان البليد ، ووضعه في مستوى احط من اي مخلوق من المخلوقات ، ولعدم تمكنه من الهرب من السجن الانكليزي ، فانه ينتهي بالجنون » ·

انتهت محاكمة اوسكار وايلد عصر يوم السبت كما اسلفنا ، لكن لان السجن كان قد اغلق ابوابه ، لذلك فقـد اودع مغلول اليدين حتى عصر يوم الاثنين في زنزانة سجن « نيو غيت جيل » ، ثم نقل بعد ذلك في عربة من « بلاك ماريا » الى سجن (بنتوفيل) الذي اصبح مستقره الجديد · وحالما استقر في السجن كتب رسالة الى (فرانك هاريس) جاء فيها :

« لقد حلمت احلاما مريعة الازعاج ، ولا تدانيها اي من الاحلام التي حلمت بها · وفي اول ليلة دخلت السجن طلبوا مني ان اتعرى امام ادارة السجن ، ثم ادخلوني في

ماء قذر يطلقون عليه اسم (الحمام) ثم جاءوا لي بخرقة رطبة ترابية اللون داكنة ، بعدها القوا الي بملابس العار ٠ اما الزنزانة فقد كانت رهيبة وكنت اجد صعوبة في التنفس فيها ، وقد قلب الطعام معدتي لان شم رائحته ومجرد رؤيته كانا كافيين لقيء اي انسان ، فلم اتمكن من الاكل لايام ، وايام ، وايام ، حتى ولا ازدراد قطعة خبز صغيرة ، بينما لا يمكن اكل بقية الطعام اطلاقا ٠ وكنت انام على ما يدعى فراش ٠ وانا اقاسي من عذاب الليل الساجي الطويل ٠ وبعد ايام عديدة شعرت بالجوع ، فلزم علي ان آكل شيئا ولو قليلا ، كأن تكون حريفة خبز ، واشرب قليلا من اي سائل ، كأن يكون شايا او قهوة او حساء ، ولا اقدر على التصريح اكثر من هذا ٠ وحالما اكلت بعد هذا الجوع ، اصبت بحمى شديدة ، وسقطت طريح الفراش طيلة ذلك النهار والليل ٠ ومنذ ان جافاني الكرى ، بدأ الهزال يدب في اعضائـــي ، واخـــذت تسيطر علي مخاوف موحشة ٠ فالجوع اضعفني ، لكن ما كان امر ، هو المعاملة اللاانسانية التي يتفضل علي بها اشرس المخلوقات ٠ ولم اكن اعرف اي شيء عنهم ٠ ولم احلم بمثل تلك القسوة ابدا » ٠

وفي هذه الفترة ، وبعد اسبوعين من دخول اوسكار وايلد السجن ، كتبت الصحف الانكليزية ومن بينها « بول مول كازيت » و « ديلي كرونيكل » : ان اوسكار وايلد قد اصيب بالجنون ٠ لكن الواقع ، وكما ايد طبيب السجن ان اوسكار

وايلد لم يكن يعاني من اية حالة من حالات الجنون ، بل كان يتمتع بصحة عقلية جيدة ٠

ان الزنزانة التي القي فيها اوسكار وايلد ، لم يعد طولها (١٣) ثلاثة عشر قدما وعرضها (٧) سبعة اقدام وارتفاعها (٩) تسعة اقدام ٠ فهي بحجم (٨١٩) ثمانمائة وتسعة عشر قدما مكعبا من الهواء ، ولا يوجد للزنزانة سوى نافذة صغيرة جدا ، لا تسمح بدخول الهواء النقي بكمية كافية لتنفس السجين ٠ وقد عبر اوسكار عن ذلك بعد ان خرج من السجن في قصيدته الشهيرة « انشودة سجين ريدنك جيل » :

ان الزنزانة التي كنا نقيم فيها
انما هي مرحاض مظلم قذر
وانفاس الموت النتنة
تخترق الستار الحديدي
وقد تحول كل شيء ـ ما عدا الشهوة ـ الى رماد
في خضم المسيرة الانسانية

ولقد كان عليه ايضا ان يخضع لمراقبة الحرس من ثقب عبر باب الزنزانة الحديدية ٠ وقد كان يعاني من الارق المستمر ، ومن قسوة الفراش الذي كان ينام عليه ، اما في النهار ، فقد كان عليه ان يركع على ركبتيه ثم يبدأ بمسح بلاط الزنزانة ، وبعد ذلك عليه ان يقوم بادارة الدولاب لانجاز

عشرة آلاف دورة في اليوم · وهذا الدولاب لا جدوى له في انتاج اي شيء ، وهو لا يختلف ابدا عن عملية خياطة الاكياس او حياكة الحصران ، وفتل الحبال التي يقوم بها السجناء داخل زنزاناتهم الصامتة ·

ان الماء الكريه الذي نشربه
والخبز المر الذي يزنونه بالميزان
يشوبه خليط الكلس والطباشير

والنوم ليس بالاستلقاء على الظهر ، بل يكون بالسير على قدمين

والعيون محدقة ، والصراخ مستمر طيلة ايام السجن
لقد اجبر اوسكار وايلد على فتل كمية معينة من الحبال يوميا ، على ان لا يتحدث مع اي انسان عدا ساعة واحدة مخصصة للتريض ·

في منتصف الليل وفي قلب كل انسان
وانوار الفجر تتسلل الى الزنزانة
علينا ان ندير ذراع الطاحونة او نقطع الحبال
كل في جحيمه المنعزل
والصمت الرهيب قاسيا ، هو اشد
من رنين الجرس النحاسي



انك لا تسمع صوت انسان من قريب
وهو يلفظ كلمة رقيقة

بل هناك عينان تراقبان من ثقب عبر الباب
انهما قاسيتان وصلفتان

وعندما ينسانا الجميع ، فاننا نشعر اننا نتهرأ ونتهرأ
بأرواحنا واجسامنا المشوهة

ان الفرد دوغلاس قد غادر لندن عشية محاكمة اوسكار وايلد متجها نحو فرنسا بعد ان تزود بالنصح للبقاء هناك بعد تجريم اوسكار وايلد • ولانه لم يكن يملك مالا اضافة الى حصته القليلة من نصيب امه ، فقد كان من سوء الحظ غير قادر على مساعدة اوسكار وايلد لانقاذه من ورطة الافلاس • بل انه بدلا من ذلك قد شغل نفسه بكتابة « ادبيات » الى « دار النشر الانكليزية » بعد ان تعهد المحررون نشر ما يرد منه ، وكذلك كتب رسالة استرحام الى الملكة فكتوريا يستعطف جلالتها لاعفاء الاديب الروائي والشاعر السجين • وقد حاول المستر « اسكوت » في الثاني والعشرين من حزيران عام ١٨٩٥ التنازل للحصول على العفو الملكي • وفي الحقيقة كان هذا أحد اعمال الوزير الرسمية الاخيرة منذ ان سقطت حكومة (روز بيري) واستلمت مقاليد الحكم وزارة المحافظين • وبعد شهر من وجود اوسكار وايلد في سجن بنتوفيل ، نقل في الرابع من تموز الى سجن (وندسورث) Windsworth

الذي يقع شمالي نهر التيمس ، وهو يضم حوالي (١١٠٠) الف ومائة سجين في زنزاناته · وفي هذا يتحـدث اوسكـار وايلد عن سلوك ادارة السجن والسجانين باستغراب ، اذ اخبر صديقه (فرانك هاريس) حينما « فاجأني احد السجانين يوما واقترب مني قائلا : اخلع حذاءيك ، فاطعت وخلعتهما ، ولكني قلت لماذا ؟ فلم يجبني · فاخذهما السجان ، وطلب مني ان اتبعه ، فسرت خلفه ، ثم امرني بالوقوف في احد اروقة السجن وكان كلما سألته عن امــر لم يجبني ، فارتعدت فرائصي خوفا وهلعا ، واستعرضت يومي وسلوكي طيلة هذا اليوم ، فلم اجد ما استحق عليه العقاب ، لكني مع ذلــك ظللت خائفا من العقاب · وفي هذا الممر كان البرد يصعقني ، حتى صرت لا اقدر على الوقوف على قدمي من وطأة برد الارض ، مع ان الجوربين ما زالا يغطيان هاتين القدميــن ، فأخذت اقف على احدى القدمين مرة ، وعلى القدم الثانية مرة اخرى · وبعد فترة جاءني الحارس بزوج جديد مــن الاحذية واعطانيهما ، ثم ابلغني بالعودة الى زنزانتي ، وأن البس حذاءي هذين الجديدين · وفعلا رجعت الى زنزانتــي وانا اترنح في كل اتجاه ، فعرفت أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تبدل فيها احذية السجين القديمة باحذية جديدة فــي السجن · وهذه هي الطريقة الوحيدة ايضا التي تريد بها ادارة السجن ان تبدي لك فيها عطفها ·»

وخلال الستة اشهر الاولى من السجن فكر اوسكار

وايلد بالانتحار لفرط ما كان يشعر به من تعاسة مرعبة وبؤس مريع ، على ما اخبر به الاديب الفرنسي اندريه جيد بعد ذلك . الا ان ما جعله يعدل عن هذه الفكرة هو رؤية الآخرين من السجناء مثله ، وهم يعانون مثلما كان يعاني من البؤس والتعاسة فاشفق عليهم ، لكن احد هؤلاء الذين كان يتألم لحالهم اوقعه في ورطة ومأزق حرج ٠ فحينما كانت ساعة التريض في ساحة السجن ، وفي الوقت الذي انطلق السجناء يتهامسون ، ولان اوسكار وايلد لم يكن يعرف طريقة الهمس هذه اذ يتطلب من المتكلم ان يتكلم دون ان يحرك شفتيـــه ، فأخذ اوسكار يتكلم ويحرك شفتيه ، فرآه من كان مكلفـــا بحراستهم ومراقبتهم ، فأخذه ليلقى عقابه جزاء ما سولت له نفسه به من كلام لا يعرف مداره ، لكنه عوقب عقابين ، الاول لانه تكلم ، والعقاب الثاني لانه هو الذي بدأ الكلام ٠

كانت مسرحيات اوسكار وايلد واعماله الادبية تدر عليه كل عام (٢٠٠٠) الفين من الباونات ، وبعد سجنه وايقاف مبيعات كتبه لمنعها وعدم طبعها من جديد ، لم يبق له سوى ميراث قليل جدا من والده ، يدر عليه في حدود ١٠٠ ـ ١٥٠ باون في العام يتقاسمها مناصفة مع اخيه (ويلي) ٠ وكان يرد زوجته المسز كونستانس وايلد حوالي (١٨٠٠) الف وثمانمائة باون في العام ٠

وبعد ثلاثة اشهر من سجنه سمح له باستقبال الزيارات

وتسلم الرسائل • وكانت اول رسالة تصله وفقا لذلك من اوتو هولاند لويد ، وهو اخو زوجته الذي اخبره انه اذا ما كتب رسالة الى زوجته ، فانها لا شك لاجله ولاجل طفليهما لن ترفض الرد عليه ، كما قال السير جورج لويس ، واكثر اصدقاء العائلة • واوسكار وايلد كان مغرما بزوجته ، ويشعر بالحزن لها مع انه كان يشعر بأنها لم تكن تفهمه ، فهو يتعرض للموت بالحياة الزوجية • وهو لا يتحمل فكرة ابتعاده عن طفليه الصغيرين ، وبالاخص الولد البكر الاكبر « سيريل » ذو الشعر الذهبي المسترسل •

ان نص رسالة اوسكار وايلد الى زوجته لم تنشر ، لكن من المحتمل ان يكون قد هز اعماقها بتلك الرسالة • وفي هذا الوقت كانت زوجته كونستانس وايلد تقيم مع اصدقـاء لها في القارة الاوروبية • وقد كتبت الى مدير السجن تطلب تصريحا بالزيارة حينما تسنح لها فرصة السفر والعبور الى انكلترا مع صديق لها كان قد اعلن قبوله العناية بها خلال السفر • فرد مدير السجن ان زوجها كان قد استقبل توا زيارة ولا يسمح له بزيارة اخرى في نفس الفترة • لكنها مع ذلك سافرت الى انكلترا على امل ان يتحقق رجاؤها • فكتبت تقول : اريد ان اعلم ان زوجي يدري بمحاولة حصولي على وثيقة الطلاق منه في وقت قصير ، ولاني لم اصل في قراري الى هذه الخطوة ، انما اعتمد على الحوار الذي سيجري فيما بيننا شخصيا ، اذ انا مشتاقة لان احصل على

تصريح بمحادثته هو بالذات في جميع القضايا ، واناقش جميع الامور سواء ما يتعلق منها بالاعمال الادارية ام بالامور المتعلقة بطبيعته الشخصية ، اذ ربما نتمكن من تجنب هذه الخطوة النهائية الصارمة » ٠

ان الزيارة الاولى التي حظي بها اوسكار وايلد من صديقه « روبرت شيرارد » الذي اصبح فيما بعد كاتب سيرته، وقد اثنى اوسكار على شجاعته وشهامته في كتابه الرسالة الطويلة (من الاعماق) ٠ وكانت تلك الزيارة في ٢٦ آب عام ١٨٩٥ بعد ثلاثة اشهر تقريبا من صدور قرار تجريم السجين ٠ وان كان التصريح بالزيارة لاثنين ، الا انه لم يوافق اي صديق من اصدقاء اوسكار وايلد على زيارته ٠ وكانت مدة الزيارة لا تعدو العشرين دقيقة ٠ وقد نقل كل من السجين والزائر روبرت شيرارد الى غرفة مفصولة بشبكة من الاسلاك تبعدهما بمقدار متر عن بعضهما ٠ وكل الحديث الذي دار بينهما ، انما كان حول الادب ٠ وفي يوم ١٦ ايلول من عام ١٨٩٥ وصلت كونستانس وايلد لندن لتجد امرا بانتظارها معنونا باسمها للسماح لها بزيارة سجن وندسورث٠ وقد تمت المقابلة فعلا في سجن وندسورث بعد يومين من وصولها لندن ، ولكن في ظروف مؤلمة مريرة الاحزان ٠ وقد عبرت عن ذلك كونستانس وايلد لصديق اوسكار وايلد ، روبرت شيرارد فيما بعد قائلة : « لقد كان الامر فظيعا الى

درجة لم اكن احمل عنه مثل تلك الفكرة ٠٠ وانا لم اتمكن من رؤيته ، ولم اتمكن من لمسه ٠ وقد كنت اتكلم معـــه بصعوبة ٠ وفي المرة الثانية اذ عدت اليه ، كنت اتوقع ان القاه في غرفة لكي اتمتع برؤيته ولمسه ٠ لقد كان مجنونـــا هذه الثلاث سنوات الاخيرة ٠ وكان يقول انه لو رأى الفرد دوغلاس لقتله ٠ لذلك ارتؤي ان من الافضل بقاءه بعيـــدا ، وان يقنع بأنه يشوه حياته الجميلة ٠ فقليل من الناس من كانوا يفخرون بذلك كثيرا جدا ٠»

بعد زيارة كونستانس لاوسكار وايلد بيوم او يومين ، حاول روبرت شيرارد اقنـاع كونستانس لان تصفـح عـن اوسكار ، وان توافق على زيارته ثانية ، اذ ان امرا خاصا قد صدر على اساس ان هناك امورا عاجلة ومهمة تستدعـــي الاتصال بالسجين ٠ والامور العاجلة المهمة التي تستدعي الاتصال بالسجين انما هي تحقيق مقابلة كونستانس واوسكار وايلد ٠ وقد كان بالامكان تسوية الخصومة بينهما ، لولا ان جاءت معلومات الى روبرت شيرارد تفيد ان الفرد دوغـلاس كتب مقالة حول اوسكار وايلد تتضمن عددا مـــن رسائل اوسكار الى الفرد دوغلاس ٠ وقد كان المفروض ان تنشر تلك المقالة في باريس في المجلة الشهرية المسماة « ميركـــور دي فرانس » ٠ ولان نشر هذه الرسائل لم يكن برغبة اوسكار نفسه ، انما كان يعود الى لامبالاة الفرد دوغلاس ، خـــاصة وقد كان من ضمنها رسالتان قد استخدمهما اللورد كوينز

بيري موضوعا للشبهة في علاقتهما السيئة ، امام المحكمة ٠ فطلب اوسكار وايلد من روبرت شيرارد التاثير على الناشر لمنع نشر هذه الرسائل ٠ فالقى اوسكار اللوم على الفـــرد دوغلاس ، لان لامبالاته الساذجة هي التي جعلته يقدر ذلـك التقرير السيء بالنسبة لما كتبه اوسكار وايلد اليه ٠ ومع كل ذلك فان اوسكار وايلد كان مبتهجا جدا بزيارة صديقه روبرت شيرارد وزوجته كونستانس وايلد ٠

★★★

في ١٣ تشرين الثاني عام ١٨٩٥ نقل اوسكار وايلد من لندن اذ سارت به عربة السجن من الساعة الثانية صباحـــا حتى الساعة الثانية والنصف ظهرا ، وهو واقف عــلى قـــاع العربة مرتديا ملابس المجرمين ، ويداه مقيدتان ، لكي يراه الناس ويتفرجوا عليه ٠ وقد اخرج من المستشفى دون ان تسجل له اية ملاحظة مهمة ٠ وكان يمثل صورة غريبة من بين جميع الاشياء المحتملة ٠ وحينما كان يراه الناس ، كانوا يغرقون في الضحك ، واذا مر به قطار ، ورآه من فيه ، فانهم يظلون يتطلعون اليه ، وقد طفحت وجوههم بالغرور ٠ ولم يكن أي شيء يفوق مرحهم وبهجتهم اثناء تلك الرؤيـــة وذلـــك التطلع ٠ ان ذلك كان يحدث طبعا قبل ان يعرفوا من هـــو ! وحالما كانوا يعرفون من هو ، فانهم كانوا يزدادون ضحكا ٠ وقد تعرض لمدة نصف الساعة لوابل مطر تشريـــــن الثـــاني الغزير ، وهو واقف على قاع العربة التي لم يكن سقفها بقادر

على حمايته من وابل المطر ، لانه كان شبكة من الاسلاك ، وهو يلاقي شراهة نظرات الناس الساخرة · وهذا ما اكد لروبرت شيرارد ان اوسكار وايلد كان يقاسي عذابا فظيعا بحيث لم يكن من المستغرب ان ينخرط اوسكار وايلد لمدة سنة كاملة بالبكاء في كل يوم وفي مثل تلك الساعة نفسها ، ولنفس المدة التي قضاها في العربة حينما نقل مقيد اليدين وهو يرتدي ملابس المجرمين ، وحيث كان يتعرض لسخرية واستهزاء كل من يمر به من العابرين · فصور اوسكار وايلد كل هـــذه العذابات التي لاقاها وهو سجين ، في رسالته الطويلة التي طبعت في كتاب بعنوان (من الاعماق) · وقد حاول الكثير من اصدقاء اوسكار وايلد ان يشفعوا له لدى الملكة فكتوريا لاطلاق سراحه ، لكن جميع تلك المحاولات والجهود بـــاءت بالفشل · وبزعامة صديقه (مور آدي) تكونت فرقة تطوعوا للدفاع عنه واصدار منشور موقع عليه من عدد قليل من المثقفين والادباء والفنانين ورجال الكنيسة · ومع ان جورج برنارد شو لم يكن صديقا لاوسكار وايلد مع انهما ايرلنديان الا ان برنارد شو كتب دفاعا ادبيا قيما قام بتعديله (مور آدي) وذلك بغرض انقاذ اوسكار وايلد من السجن، وتخليصه من العقوبة القاسية التي آل اليها وضعه ، واختتم برنارد شو هذا الدفاع بالدعوة الآتية :

« يا صاحبة الجلالة الرؤوم ، نرجو ان تشملي بعطفك الكريم السجين الذي يعاني اقسى انواع العذاب في سجن

يفتقر الى الشروط التي تليق بالاديـب ، وهو يتعـرض الان لمخاطر جسدية وعقلية مريعة » ٠

لقد اخبر برنارد شو اخا اوسكار وايلد (ويلي) فـي هـذا الوقت بأنه هو ، وكذلك صديقه الفـابي « اريف ستيوارت هيدلام » الاشتراكي الذي كفله بعد المرافعة الاولى ، مستعدان للتوقيع على طلب الاسترحام الى الملكة ، الذي لا جدوى منه، وذلك لكونهما غير مرغوب فيهما على النطاق السياسي ، الا ان « ويلي وايلد » ما كان يعتقد بامكان الحصول على التوقيع على طلب الاسترحام ٠ وقد اثبتت الاحداث صواب رأيه ٠ والشخص الوحيد الذي تمكن (مور آدي) من اقناعه هو البرفسور يورك بارك استاذ التاريخ في جامعة اوكسفورد ، كما قد وعد بالحصول على تواقيع مفكرين آخرين ، الا ان اكثر الذين وعدوا بالتوقيع على الاسترحام خافوا من اعطاء توقيعهم ٠ ورفض عدد آخر التوقيع انطلاقا من اسس خلقية ، وكان من بين هؤلاء الاخيرين فنان الرفائيلية الجديدة ورسام الصور الدينية وليم هولمان هنت ٠

في هذه الاثناء بدأت حالة والدة اوسكار وايلد تنتقل من سيء الى اسوأ ٠ وفي بداية السنة الجديدة اصيبت ببـرد وزكام تطور الى اصابة بالتهاب القصبات الـذي تبعتـه مضاعفات اخرى ٠ وحينما ثقل عليها المرض طلبت من ابنهـا اوسكار ان يقوم بزيارتها ٠ ومن الطبيعي ان ترفض ادارة

السجن رجاءها لان ذلك يتعارض وانظمة السجون · وحينما أبلغت بهذا القرار وهي طريحة الفراش ، وتعاني من وطأة المرض الشديد ، ادارت وجهها الى الجدار ، وهي تردد آخر جملة قالتها : « ان السجن لا يساعد ولدي ! » ثم لفظت انفاسها الاخيرة في الثالث من شباط ١٨٩٦ · ولما سمع اوسكار بنبأ موت والدته حزن حزنا شديدا لانه كان يحبها كثيرا · ووفاء لذكرها كتب عن موتها في كتابه «من الاعماق» :

« ان موتها كان رهيبا لي ، ولكن مع اني امير اللغة ، الا اني لا اتمكن من ان اعبر بأية كلمة عن المي المبرح وخجلي المرير ·· انها هي وابي اودعاني اسما نبيلا وشريفا ، ليس في الادب والفن وعلم الآثار والعلوم فقط ، انما في تاريخ شعبي وبلدي وتطوره كأمة ايضا · انني سألحق بهذا الاسم خزيا وعارا ابديين · وانني سأحط من قدره بين اناس منحطين ، وانني سأغوص به في مستنقع قذر جدا · انني سأمنحه الى بهائم ، فيجعلون منه اسما بهيميا ، وامنحه الى مجانين يجعلون منه كلمة مرادفة للجنون · فماذا علي ان اقاسي ، واظل اقاسي ، ليس من اجل قلم للكتابة ولا ورق للتدوين » ·

لقد سمع اوسكار وايلد نبأ وفاة والدته من بين شفتي زوجته اثناء زيارتها له ، وهي التي اصبحت تعرف الان (السيدة هولاند) بدلا من (السيدة وايلد) · وفي هذه

الزيارة قالت له زوجته ، انما يجب عليك ان تقرر حياة الطفلين ، فطلب منها ان ترعاهما خاصة ابنهما الاكبر « سيريل » ولا تفسد شخصيته كما افسدت الليدي كوينز بيري ابنها الفرد دوغلاس · ومع ذلك فان اوسكار وايلد يشعر بعاطفة ورقة زوجته خلال ذلك اللقاء · وهكذا كانت تلك الزيارة اخر مرة يرى فيها اوسكار وايلد زوجته · ولصعوبات مختلفة لم يتمكن اوسكار من ان يلتقي بها بعد اطلاق سراحه ·

لقد سجل اوسكار وايلد الكثير من صور السجن في مجموعته الشعرية التي نشرت تحت عنوان (انشودة سجن ريدنك جيل)

لقد مزقنا الحبال المقيدة اربا اربا ،
باظافرنا الدامية المحطمة
وحككنا الابواب ومسحنا الارض
وقد نظفنا القضبان البراقة
وغسلنا الالواح الخشبية مرة بعد مرة
وقعقعنا بالجرادل
وخطنا الاكياس وكسرنا الاحجار
وادرنا مكائن الحفر
وعلقنا الصفائح وزعقنا بالترانيم الدينية
وكدحنا على الطاحونة :
لكن في قلب كل انسان

ظل الرعب يهيمن

وحينما عاد مرة بعد عصر احد الايام من العمل مع بقية السجناء الى زنزاناتهم وهم يمرون بحفرة مكشوفة كتب اوسكار :

أن الحفرة الصفراء ذات الفم المتثائب
قد فغرت فاها لتستقبل الاحياء
وكان الطين يصرخ يطلب الدم
والطوق الاسفلتي متعطش للدماء
ونحن نعلم ان الصفاء يبدأ قبل الفجر
فيكون شنق احد السجناء

اما نحن فقد سرنا الى الامام كما سارت ارواحنا
نحو الموت والرعب والهلاك
وذهب الجلاد ذو الحقيبة الصغيرة
يسير متثاقلا في الظلام

بينما ظل كل فرد يزحف مرتعدا من الخوف
نحو قبره المرصود ٠

تحت مثل هذه المعاناة الشاقة ، والحياة القاسية المريرة كان يعيش اوسكار وايلد داخل السجن ويلاقي من الحرمان ومن ادنى درجات الظروف الحياتية للانسان ، بله الانسان المثقف ٠ فاندفع يكتب استرحاما الى ادارة السجن علـــى

ورقتين ونصف الورقة من القطع الكبير مما كان يسمح له بالكتابة عليهما ، جاء فيه :

« ان الاعمال السيئة التي جرم المسترحم من اجلها لا تستدعي التعرض الى مثل تلك المعاملة المهينة ، لان تلك الاعمال الخلقية السيئة انما هي نمط من انماط الجنون الجنسي ، حيث تعتبر في فرنسا والنمسا وايطاليا مجرد امراض وظيفية في عرف الطب المرضي الحديث ، ولا تعتبر جرائم تستحق العقاب عن طريق المحاكم • وقد اكد ذلك كل من العالمين لومبروزو وماكس نوردو ، باعتبار هذا التحلل هو مرض يحتاج الى العلاج • وان المسترحم الذي الف اربع مسرحيات مثلت بنجاح عظيم على مسارح انكلترا واميركا واوستراليا ، وفي جميع العواصم الاوروبية تقريبا ، لا يمكن ان يحجز في سجن ليلاقي انواع العذابات الرهيبة التي جعلته ينسى زوجته وطفليه • كذلك يجب انقاذ شرف هذا الاسم ، وشرف اسم العائلة من التلوث الذي لحق بهما بسبب التحلل الخلقي المرضي الذي تعرض له ••• وان الاستمرار على سجنه ربما سيقوده الى خراب تام ويكون جزاؤه رهبة الجنون وتحطيم الروح • وان هذا المسترحم يتعرض الى حرمان من الكثير من الشروط الضرورية للصحة البدنية والنفسية ، اذ انه محروم من الكتابة ولا يسمح له بقراءة الكتب على هواه عدا الكتب القليلة جدا،والموجودة في مكتبة السجن التي ليست ذات مستوى ادبي يلائم المثقف ••• وبالاضافة الى ذلك فقد

قطع عن اية معرفة بالعالم الخارجي وما يجري في الحياة وقد حرم من رؤية والدته السيدة وايلد قبل وفاتها ، ثم توفيت ووريت ، التراب دون ان يسمح له برؤيتها · وقد جلب هذا عليه الخراب ، كما جلبه على ولديـــه الطفلين الصغيرين وزوجته الشابة ··· وان الصمت المطبق الذي يتعرض لـــه المسترحم لا شك يؤدي به الى فقدانه سمعه ، فيصاب بالصمم· وتسبب له العزلة عن الحياة ، وكل ما هو انساني في مثل هذا القبر ، ليلا نهارا ، عذاب نتيجة الخوف من الجنون التام· لان عقله قد حجب عن كل المسائل الفكرية والثقافية وحتى العلاقات الجنسية في هذه الزنزانة ، خاصة اذا علمنا ان العقل مخلوق للتفكير ، فاذا لم تتوفر له الشروط الضرورية لصحة نشاطه الفكري ، فانه سيقع في مخاض مقاساة ومعاناة يسلمه الى انهيار عقلي ونفسي · فلا بد من نسيان الجرائم وغفرانها وترك هذا الانسان يعيش حرا ، وان لا يكون ضحية لعمل لم يقو على مجانبته ·· لذلك يجب ابعاد هذا الانسان عن مثل هذه الحياة المريرة والعزلة المريعة ، وانقاذ روحـــه المحطمة التي كانت ضحية لجسد تعيس بسبب الاعمال الشنيعة التي لم يتمكن من الانفلات والهروب منها ·

ان المسترحم لن يتمكن من تحمل ذلك اطول · لذلـك يطلب العفو والغفران من اجل انهاء هذا الحكم ، وان يودع في مصحة لعلاجه طبيا ، كما يجب ان يعتنى به من ناحية عاهته الجنسية · وهو يعلم ان حياته روائيا واديبا قد انتهت،

وان اسمه قد حذف من سجلات الادب الانكليزي ، ولن يعاد مرة ثانية ، وان طفليه لا يمكن ان يحملا اسمه ثانية في حياتيهما القادمتين ، حتى لو كانا في بلد قصي ٠٠ وبالاضافة الى ذلك فهناك الفقر والحياة المرة ينتظرانه حينما يخرج من السجن وحيث لا فرح ولا جمال في الوجود ، وحيث قد سلبا منه الى الابد ٠ لكنه مع ذلك ما زال يعتقد انه لن يجتاز هذا السجن الا ليدخل مستشفى المجاذيب ٠ وان حياة السجن المرعبة تقسو عليه وتقسو على قلبه المحطم ٠٠ هذا القلب المسكين ٠ وان السجن لا يصنع من الانسان رجلا فاضلا ، بل قد يقوده الى الجنون ، لذلك يسترحم ــ هذا السجين ــ للسماح له بالتخلص من السجن ، اذ ما زال في صحته العقلية ، واذ ما زالت للكلمات معان وللكتب رسالة ، وحيث يمكن للعلاج الطبي ان يقوده الى حياة سليمة تغير رأيه ، فتعود صحته الى طبيعتها حيث لا يعرف الانسان النقاء والطهر ، وحيث يمكن ابعاد الجنون وابقاء النفس نقية طاهرة ٠

ان المسترحم يلفت الانتباه الى انه بينما ترى صحته الجسمية جيدة ، فانه بدأ يفقد سمع اذنه اليمنى من جراء التهاب ادى الى عطب في غشاء الطبلة بحيث ان الطبيب الرسمي في السجن قرر انه لا يتمكن من تقديم اية مساعدة ، وانه لا شك سيفقد سمعه نهائيا ٠ لذلك فان المسترحم يشعر بضرورة مساعدته في العلاج والعناية به من قبل اختصاصي خارج السجن ٠ وقد اكد الطبيب الجراح الاختصاصي السير

وليم دالبي ، بأن عناية خاصة تبذل له يمكن ان تمنع فقدان سمعه الذي لا يعرف سببه • وان بقاءه بدون هذه العناية الخاصة في السجن تؤدي به الى اساءة في حالته السمعية وان المسترحم يخاف من ان تصاب الاذن الثانية بمثل هـذا العطب فيقع فريسة صمم تام •• أما من ناحية بصره الذي يحتاج اليه كأي اديب ، ويحتاج الى العناية به ، فانه قاسى من الحياة في زنزانة مطليـة بالحصى الابيض ، والضوء الخافت في الليل اللذين يسببان له ضعفا دائما في اعصاب العينين ، وهذا لا شك يحدث من جراء تعرض المسترحم الى الضوء الساطع في النهار اثناء التريض في باحة السجن الذي يزيد في هذا الضعف ، والالم في اعصابه البصرية • وفي الاربعة شهور الاخيرة اصبح ضعف بصره محور قلق رهيب ، خاصة اذا ما استمرت حياة السجن ، فيصاب بالعمى بالاضافة الى الصمم ، وهما بدورهما سيكونان عاملا فـي زيادة حالة الجنون واضطراب العقل •

ان الخطر الرئيسي الذي يواجه المسترحم هو الجنون ، اذ ان خوفه من الجنون ، وسجنه الطويل ، يرجو ان يكونا كفيلين باعتبارهما عقوبة كافية • وان عقوبة السجن يجب ان تنتهي الان ، وان لا يطول هذا الحكم حتى لا يورثه الجنون ، فيسلمه الى التفسخ الخلقي والشعور بالخجل » •

اوسكار وايلد

لقد قدم هذا الاسترحام مع تقرير الطبيب الرسمي للسجن ، الذي اوضح ان المسترحم يتمتع بصحة عقلية جيدة، وصحة بدنية ممتازة ، لكنه يضاف الى ذلك ادعاء المسترحم باصابة اذنه اليمنى بعطب في غشاء الطبلة ، ولا يوجد دليل على عطب الاذن اليسرى ، او اي عيب او خلل او اضطراب في الرؤية • لكن الاسترحام والتقرير الطبي لم يشفعا لاوسكار وايلد لاطلاق سراحه ، الا انهما ساعداه في الحصول على قليل من الامتيازات الشكلية في السجن ، واضافة الكتب التي كان يطلبها الى مكتبة السجن • وبعد أن قضى اوسكار وايلد ثمانية عشر شهرا من حكمه ، قدم استرحاما آخر يستعطف به ادارة السجن والسلطة القضائية لاخلاء سبيله ، قبيل عيد الميلاد على الاقل •

ان اوسكار وايلد كان قد دخل السجن بتاريخ ٢٥ مايس ١٨٩٥ ، وخرج منه في ٩ مايس ١٨٩٧ ، وقد قضى شهرا كاملا معتقلا قبل صدور الحكم عليه ولم يحتسب له هذا الشهر من ضمن مدة المحكومية • ولما اطلق سراحه ، قدم له عدد من اصدقائه الملابس اللازمة ومعطفا ، وما يحتاج اليه الانسان من وسائل حياتية اخرى ، كما قدم له صديقه (مور آدي) (٢٥) خمسة وعشرين باونا والعدد التي يحتاجها الانسان حتى يسافر ، اذ كان قد قرر اوسكار وايلد عدم البقاء في انكلترا ، انما الرحيل الى فرنسا ، ليسكن في باريس ، بعد ان حرم حتى من رؤية طفليه وزوجته كونستانس •

في عام ١٨٩٥ رفض وليم هولمان هنت التوقيع على الاسترحام الذي كان قد قدم الى الملكة فكتوريا لغرض انقاذ اوسكار وايلد من السجن • وهولمان هنت هو احد مؤسسي المدرسة ما قبل الرفائيلية في الرسم • اما سبب رفضه التوقيع على الاسترحام ، فقد كان لنزعته الدينية • وفي رأيه ان قضية اوسكار وايلد تخالف الدين • لكنه مع ذلك كتب رسالة وجهها الى السيد مور آدي يبين له فيها حقيقة رفضه :

درايكوت لودج

فولهام

١٨ تشرين الثاني ١٨٩٥

سيدي العزيز !

انا لم افشل في اعطاء نفسي الفرصة الكافية للافضاء لكم برأيي القاسي عليكم في القضية ، وذلك انطلاقا من الشعور بالاخوة الانسانية للحصول على تخفيض الحكم الصادر بحق اوسكار وايلد • ولكني يجب ان اكرر اعلان رأيي في ان القانون الذي طبق عليه ما كان جائرا ابدا • وأؤكد ان التعمق في بحث هذه الحقائق التي تقنعني بأن العدالة مع المجرمين المنتمين الى طبقات المجتمع الاخرى ، تدعوني الى تأييد الالتماس لابعاد الشر بكامل مسؤوليتي الشخصية ، فيما اذا لعبت اي دور في محاولة اطلاق سراحه قبل اتمام مدة سجنه • وبينما يكون هذا العمل خيرا بالنسبة

للمجرمين ، فانه لا يكون كذلك بالنسبة للاشخاص المعتدين بأنفسهم ، ولافراد المجتمع الخاضعين للنظام ، وأنا آسف لكوني مضطرا لرفض التوقيع على الاسترحام حيث اعارض فيه رغبتكم الصادرة من عواطفكم الرقيقة ٠

المخلص لكم
و٠ هولمان هنت

ان هولمان هنت فيما كتب هذه الرسالة ، نسي تماما المقتطف الذي الهمه صورته الشهيرة « نور العالم » الذي ينص :

« انا اتوقع ان امر من هذا العالم ، ولكن لمرة واحدة ٠ لذلك فان اي خير يمكن ان اقدمه ، او اي نبل اعرضه لاي مخلوق اعرفه ، يجعلني افعله الان ٠ فدعني لا اؤجله ولا اهمله ، لاني سوف لا امر من هذا الطريق مرة ثانية » ٠

الفصل السادس

نهاية المأساة

اراد اوسكار وايلد ان تبقى العلاقة سرا بينـــه وبين الفرد دوغلاس · وقد صرح بذلك في العديد من الرسائل الى اصدقائه · فكتب في ١٨ شباط سنة ١٨٩٧ الى صديقه مور آدي ، يشرح الاسباب التي قادته للقيام بهذا العمل :

« لقد أخبرتك بأنـــي سأشرع في الكتابة الى الفـــرد دوغلاس · فأنا ما زلت مستمرا في كتابــة الرسالة اليه · وانها اهم رسالة في حيـــاتي حيث تعبر بصورة نهائية عن موقفي الفكري القادم نحو الحياة ، والطريق الذي ارغب فيه بمواجهة العالم مرة ثانية وتطور شخصيتي التي فقدتها ، وتعلمت ، وما أنوي الوصول اليه · وفي الاخير فأنا ارى الهدف الحقيقي الذي تتجه نحوه روحي ، بكل بساطة وبصورة طبيعية ، علي ان انهي كتابة الرسالة ، لانه يتعين عليك ان تدرك ما سأصير اليه ، وما افضل ان اكونه في دخيلة نفسي ونيتي التي تعتمد حياتي كلها عليها ·

سأرسل الى روبي الذي عليه أن يقرأهـا بعناية ، ثم يستنسخها لي كلمة كلمة وبكل عناية ايضا ، ثم اقرأها انت ، لترى انها قد استنسخت بكل دقة ، ثم ارسلها نيابة عني الى الفرد دوغلاس · فأنا لا اعرف عنوانه وآمل الانتهاء من كتابة الرسالة يوم الثلاثاء القادم » ·

قرر اوسكار وايلد ارسال المخطوطة مع رسالته القادمة الى روبرت روس · وفي هذه الرسالة المؤرخة في ١ نيسان ١٨٩٧ ، وهي التي طبعت فيما بعد مستقلة في الطبعات الاخيرة بعنوان « من الاعماق De Profondés » · واخبر اوسكار وايلد صديقه روس ، انه يود ان يكون وصيه الادبي في حالة وفاته ، متمتعا بكل الصلاحيات للتصرف بمسرحياته وكتبه واوراقه · وفي الوقت نفسه بين الاسباب بكل وضوح التي دعته لكتابة هذه الرسالة الفريدة الى الفرد دوغلاس ، بعد ان كان قد املى تلك الاسباب على موز آدي ، وقد كرر وبالتفصيل ايضا التعليمات التي يريد اتباعها لاستنساخها :

« حسنا ، اذا وافقت ان تكون وصيي الادبي ، فعليك ان تحتفظ بالوثيقة الوحيدة التي توضح تفسير سلوكي الغريب بالنسبة لكونينز بيري والفرد دوغلاس · وحينما تقرأ الرسالة سترى التفسير النفسي المجرد لسلوكي الذي يظهر لمن يراقب من الخارج انه يجمع بين الحماقة المطلقة والتبجح السوقي · وستعرف الحقيقة في يوم ما ـ وليس ضروريا ان يكون ذلك

خلال حياتي ، او حياة الفرد دوغلاس · لكني لست مستعدا للجلوس امام آلة التعذيب التي يضعونني فيها طيلة الوقت ، لسبب بسيط جدا ، هو لانني ورثت من ابي وامي اسما ذا صيت عال في عالم الادب والفن ، ولا اتمكن الى الابد ان اسمح لهذا الاسم لان يكون درعا او مخلب قط لعائلة كونينر بيري · وانا لا ادافع عن سلوكي ولا ابرره ، انما انا افسره ·

وفي الرسالة ايضا مقاطع معينة تتعلق بتطور تفكيري في السجن والتطور الحتمي لشخصيتي وموقفي الفكري الذي جد نحو الحياة · واريدك كما اريد الاخرين ، الذين ما زالوا يناصرونني ويتعاطفون واياي ، ان يعلموا بالضبط في أية وضعية وفي أية حالة انوي مواجهة العالم · ومن وجهة نظر واحدة طبعا انا اعرف انه يوم اطلاق سراحي ، اني سأنتقل من سجن الى سجن اخر ، وهناك اوقات يلوح لي ان كل العالم ليس اكبر من الزنزانة التي اعيش فيها ، وهي المليئة بكل ما يريعني · وانني ما زلت اعتقد ان الاله في البدء قد صنع العالم لكل انسان وحده ، وعلى كل واحد ان يبحث عن طريق للحياة في ذلك العالم الذي في داخلنا » ·

بالنسبة لقضية الاستنساخ فان اوسكار وايلد كان يشعر « ان الشيء الوحيد الذي يجب عمله ، هو ان يكون بديعا ومكتوبا بالآلة الكاتبة » ، ويقترح ان تقوم بطبعها الفتاة ذاتها في الوكالة التي ارسل اليها مسرحيته الاخيرة لتطبعها بالآلة

الكاتبة ، على ان ترسل بعدئذ الى مور آدي في لندن ليقوم بالعمل تحت اشراف روبرت روس • وهو لا يعول على النساء كثيرا ، اذ انهن لا يتذكرن الاشياء المهمة • ويستمر اوسكار وايلد قائلا : « أؤكد لك ان ماكنة الآلة الكاتبة حينما تعمل فلن تكون اكثر ازعاجا من لحن مقطوعات عاطفية على آلة البيانو الذي تعزف عليه اخت او اقرب الاقربين » •

ان رسالة اوسكار وايلد ، هذه رسالة موسوعية • وهو يطلب ان تنظم طبعتها على هيئة (فصول) - وهي التي طبعت تحت عنوان - من الاعماق - كما أشرنا ، ثم ترسل نسخ من هذه الطبعة الى امرأتين صديقتين لاوسكار وايلد ، هما الآنسة آديلا شوستر والسيدة فوربيس فرانك روبيرسون • « فأنا اعرف ان كلتا المرأتين اللطيفتين ستكونان متلهفتين لمعرفة كل شيء مما حدث لروحي ، ليس بالمعنى الديني ، بل بالمعنى الشعوري الروحي المنفصل عن الحلوليات التامة للجسد » • ومع ذلك فان الرسالة يجب ان تبقى « سرا غامضا عن العالم على العموم » • ومن الضروري ايداع نسختين مطبوعتين بالآلة الكاتبة من بين كل ما يطبع ، واحدة لدى روبرت روس والثانية يحتفظ بها لاوسكار وايلد نفسه • وحينما تدقق النسخ مع المخطوطة ، ترسل الرسالة الاصلية بعدئذ الى الفرد دوغلاس بواسطة « مور آدي » • ولا حاجة لاخبار الفرد دوغلاس انه قد اخذت نسخة عنها ما لم يكتب ويتذمر من الظلم وتزييف الوقائع التي جاءت في الرسالة •

وعندئذ فقط يجب ان يبلغ ان هناك نسخة اخرى قد اخـذت عنها ٠

وأنا آمل بكل احترام ان تجعل الرسالة الفرد دوغـلاس (اخيرا) انسانا طيبا ٠ فهي المرة الاولى التي يخبره فيها شخص ما بحقيقة نفسه ٠ فاذا سمح له بالاعتقاد ان الرسالة انما هي مجرد سيل قلم يكتب على لوح خشبي ، وان وجهات نظري قد شوهها الحرمان في حياة السجن ، فلا خير يتبع ذلك ٠ وانا آمل ان احدا يدعه يعلم ان الرسالة هي وحدهـا التي يستحقها ، وان لم تكن عادلة ، فانه يستحق الظلم ٠ فمن هو الذي يستحقها بالضبط اكثر من ذلك الذي يظلم غيره دائما ٠ لكن مأمور السجن الميجور نلسن لم يسمح بارسال الرسالة الطويلة ـ من الاعماق ـ بل طلب الاحتفاظ بها حسب تعليمات السجن ٠ فاستسلم اوسكار وايلد للامر الواقـع واودعها لدى مأمور السجن لحين اطلاق سراحه ٠ وبعـد القيام بترتيبات اطلاق السراح في دائرة هاركروف ، ارسلت احدى النسخ الى زوجة اوسكار وايلد لتوقيعها ، وهي التي كانت قد قررت المجيء الى انكلترا لتنفيذ ذلك ٠ فسأل هولمان ، دائرة هاركروف عن موعد عودتها ليمكن هانسيل من الذهاب الى سجن ريدنك جيل ، يوم السبت في الخـامس عشر من مايس ، قبيل موعد اطلاق سراح اوسكار وايلد ٠ واذا كان اوسكار ينتظر وكيله في ذلك اليوم ، تسلم رسالة تبلغه ان هانسيل لن يتمكن من زيارته الا بعد عطلة نهاية الاسبوع ، أي

يوم الاثنين القادم • وهكذا خيم اليأس وخيبـــة الامل على اوسكار وايلد لعدم لقائه لهانسيل ، ذلك اليوم كما كتب اوسكار الى صديقه مور آدي ليلة السبت اذ قال ، ان يوم الاثنين بعيد جدا ، فأنا اوجس خيفة من محاولة قيامه بعمل ما ، بعد اخذه توقيعي على وثيقة اطلاق السراح ، لترتيب قضية طلاق زوجتي • وبالاضافة الى ذلك فان مسألة الطفلين قد حسمت من قبل المحكمة نهائيا • فلقد اخذا مني ، واذا توفيت زوجتي ، فانهما سيوضعان تحت اشراف « ادريان هوب » • وهكذا تكون علاقتنا الشخصية قد حسمت بادق التعليمات بهذه الوثيقة • فاذا حاولت الكتابة اليها بدون اذنها ، او طلبت الاقامة الى جانبها بخلاف رغبتها ، فاني سأفقد حالا دخلي الوحيد البالغ ثلاثة باونات اسبوعيا • واذا ما تعاهدنا على الصداقة وعشنا سوية مرة ثانية ، فاني سأفقد دخلي بالقدر الذي يزعجها • فالموضوع هو فوق طاقـــة زوجتي وخارج ارادتها •

ان سبب تأجيل زيـــارة هانسيل يمكن ان يكون لان كونستانس وايلد ، رغبت في المجيء الى سجن «ريدنك جيل» فلم تتمكن من الوصول او قد وصلت انكلترا يوم السبت • وعلى كل حال فقد امكن التأكيد عن طريق السجان الـذي كان يقوم بالحراسة (في مدى الرؤية وليس في مدى السمع) ولغـرض مقـصود من هذه الزيـارة اصـطحبت السيـدة كونستانس وايلد وكيلها معها • لكنها لم ترغب في ان يراها

زوجها · ووفقا لقول السجان فان المقابلة وقعت في مـا يعرف باسم « غرفة الوكلاء » اذ جلس اوسكار امام منضدة ورأسه بين يديه مقابلا المحـــامي · وكان السجان وشبح متشح بالمـــلابس السود ، يقفان خارج الممر · ومـــا كان ذلك الشبح سوى كونستانس وايلد ، وهي تذرف الدموع · وحينما كانت المشاورات تجري بين اوسكار وايلد ومحاميه، التفتت السيدة كونستانس وايلد الى السجان وقالت له وهي تتضرع بكل رقة : دعني القي نظرة خاطفة على زوجي ! فلم يرفض السجان الرقيق المشاعر ، لانه كان قد تأثر بالمنظر تأثرا عميقا · فتراجع الى الوراء وهو يتوجس لكي يسمح لها بالنظر من خلال الفتحة الزجاجية التي كانت في الباب· وحسب ما جاء في كلام السجان ، القت السيدة كونستانس وايلد نظرة طويلة فاحصة الى الـــداخل ، فرأت الشاعـــر المحكوم في وضعية توحي بأنه كان يعاني من مشاعر الحزن العميقة ، لكنه لم ينتبه الى ان هناك عينين تتطلعان اليه · وفي تلك اللحظة كان اوسكار وايلد يوقع على وثيقة اطلاق سراحه · فانسحبت عندئذ السيدة كونستانس وايلد وهـــي تحاول كظم مشاعرها العميقة · وبعد دقائق قليلة غادرت السجن مع الوكيل بينما ظل زوجها اوسكار وايلد غير مدرك ولا شاعر بوجودها · أما بالنسبة للسجان ، فقد ظلت هذه الحادثة اكثر القصص حزنا ، عما كان يعرف عن السجين·

بعد ان اطلق سراح اوسكار وايلد ، الح عليه الكثير

من الاصدقاء ان يغادر انكلترا ، ليتخلص من ذكرى الكارثة التي ادت به الى دخول السجن ، على الاقل · ولقد كــان من الافضل ايضا ان لا يتقابل الاثنان ، اوسكار وايلد والفرد دوغلاس · فان اوسكار رحل في التاسع من مايس ١٨٩٧ ، فذهب مع روبرت روس وريجي تيرنر الى (دييب) ، ثم الى قرية صغيرة في مقاطعة (بيرنيفال) عــلى مبعدة قليل من الاميال من مدينة بيرنيفال · وهنا كان قد شرع اوسكــار بالعمل الوحيد الذي انجزه بعد السجن · ألا وهو انشودة سجن ريدنك جيل · ومن هنا ايضا كتب الى (بوزي) يطلب منه ان يلحق به · فالتقى الاثنان فعلا في روون ، ثم انطلقا سوية الى نابولي · وهكذا عادت الحياة القديمة مع بوزي ، اذ حتى ذلك الوقت ، فمن المتوقع ان يتحمل اوسكار وايلد جميع نفقات بوزي ، الذي كان يعرضه في طريق العــودة الى سلسلة من مشاهد العنف ·

وحالما نفذت نقود اوسكار وايلد ، فان بوزي ، هجره ، فقرر اوسكار ان يذهب الى باريس حيث استقر فيها ، ولم يغادرها الا لزيارات قليلة للريفيرا وسويسرا · فقضى في باريس سنوات عمره القليلة الباقية ، اذ انه توفي وهو نزيل فندق الالزاس في شارع دي بون آرت (شارع الفنــــون الجميلة) ، وذلكفي الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٠٠ ، بعد ان عانى من الالام المبرحة نتيجة اصابته بمرض التهاب السحايا الدماغية ، التي لم تمهله الا أياما معدودات · وقبيل

وفاته بتلك الايام القليلة ، نال غفران الكنيسة الكاثوليكية ٠

وفي نصف القرن الذي مر منذئذ ، اخذت تفاصيل مأساته تتكشف تحت الاضواء بالتدريج ٠ وان موت الفرد دوغلاس في بداية عام ١٩٢٥ مكن ابن اخت المركيز كوئينز بيري من نشر الكثير من القضايا ٠ وهذا ربما يدعنا الان ان نقدر ان تفاصيل القصة قد رويت كاملة ٠

ومع ذلك ظل مركز اوسكار وايلد الادبي موضوعا للمناقشة ، اذ ان النقاد الذين وقفوا موقف ماريو برازا المعروف ، حيث سلبوه اصالته ، فانهم ينظرون اليه باعتباره رجلا موهوبا ، وان عبقريته ، ان كانت لديه عبقرية ، انما هي عبقرية استيعاب ٠ اما الباحثون الالمان فقد تولوا درس مصادر اوسكار وايلد دراسة شاملة ٠ والناقد البارز تشارلس دو بوس ، يصرح ان عمل اوسكار وايلد لا يمكن اعتباره قيما ، بينما يسلم الاديب الايرلندي الدبلني جورج برنارد شو الذي يخالف اوسكار وايلد في مثله وافكاره ، بأن مكانته في المسرح انما هي تقف جنبا الى جنب مع مكانة كونكريف ، وان حكمه البالغة القيمة والرائعة ، انما هي بمستوى حكم لاروشو فوكولد ٠

ان كتابات اوسكار وايلد ما زالت ، وبكل تأكيد ، تثير

ولع واهتمام الجمهور ، فان مسرحية « أهمية ان يكون المرء جادا » ما زالت خالدة ، كما ان هزلياته الاخرى قد بعثت من جديد من خلال السنوات الاخيرة بنجاح منقطع النظير ٠ فبالنسبة لمسرحية (سالومي) فقد عرضت لاول مرة على مسرح (دو لوفر) في باريس منذ ان كان مؤلفها خلف قضبان السجن ٠ وقد ترجمت الى اللغة الالمانية ثم اللغة الجيكية والهولندية والاغريقية والمجرية والبولندية والسويدية وكاتالونية واللغة اليدية (من لغات المانيا الاقليمية) ٠ وما زاد هذه المسرحية روعة وجمالا هو موسيقى رتشارد شتراوس التي تستحق الشكر والثناء ٠ وقد مثلت هذه المسرحية في المانيا وحدها ـ اكثر من أية مسرحية انكليزية بضمنها حتى مسرحيات شكسبير ٠

لقد ظلت كتابات اوسكار وايلد غير المسرحية ايضا تقرأ من قبل الاجيال المتعاقبة ٠ وقد فتحت مسرحية (مفاهيم) وصورة دوريان كراي للكثير من الشبيبة في جميع الامم الاوروبية عوالم وآفاقا واسعة من الاحساس ، والتذوق الجماليين ٠ اما قصص اوسكار الاسطورية للاطفال مثل الامير السعيد والمارد الاناني وغيرهما ، فما زالت تثير البهجة لدى الاطفال بفضل اخيلتهما الجمالية الفذة ، مثلما يستمتع بها الكبار ، لشمولها على روح السخرية اللاذعة التي تظهر عن طريق روايتها ٠

واخيرا فان مكانة اوسكار وايلد كشخصية ادبية تاريخية ، ما زالت فريدة من نوعها · فهو قد وقف كما ادعى هو بذاته ، في قمة المذهب الرمزي في عصره ، وبدونه لا يمكن ان نفهم الحركة الجمالية في ثمانينات القرن التاسع عشر ولا الحركة الرمزية في تسعينات القرن نفسه · ولقد كانت مكانته مرموقة في الادب ، سواء كان في الادب الانكليزي ، ام في الادب العالمي ·

واخيرا فان مكانة اوسكار وايلد كشخصية ادبية تاريخية ، ما زالت فريدة من نوعها • فهو قد وقف كما ادعى هو بذاته ، في قمة المذهب الرمزي في عصره ، وبدونه لا يمكن ان نفهم الحركة الجمالية في ثمانينات القرن التاسع عشر ولا الحركة الرمزية في تسعينات القرن نفسه • ولقد كانت مكانته مرموقة في الادب ، سواء كان في الادب الانكليزي ، ام في الادب العالمي •

الفصل السابع

من الاعماق

ان قصيدة اوسكار وايلد الشهيرة انشودة سجن ريدنك جيل ، ولم يكتبها في السجن بالضبط كما يخيل لبعض المؤرخين • والشيء الوحيد الذي كتبه اوسكار في زنزانته على ورق السجون الازرق من القطع الكبير الذي كان يسمح له بورقة واحدة يوميا ، انما هو رسالة طويلة الى اللورد الفرد دوغلاس ، وهي تقع في (٢٥٠) مائتين وخمسين صفحة • وقد دعيت فيما بعد (من الاعماق) •

وهي العمل الادبي الوحيد الذي كتبه خلال السنوات القليلة الاخيرة من حياته ، الذي نتمكن من قراءته على انه نص ادبي متكامل •

لقد تساءل البعض عن صدق هذه الرسالة ، وشك آخرون في حقيقة ندم اوسكار وايلد • واعتقد هؤلاء ان « الفنان في مواقفه » لم يتخذ قط الا موقفا آخر • ولكن من المستحيل لاي انسان غير متعصب ان يقرأها دون أن يهتز

من اعماقه • والاعمال الكاملة المنشورة بشكلها الصريح التي لم تنشر ابدا قبلئذ ، انما هي تعبر عن الطيبة المثالية التي يتمتع بها اوسكار وايلد بالرغم من اخطائه ودناءة اللورد الفرد دوغلاس الاصيلة وانانيته وعقوقه •

حينما سلم اوسكار الرسالة الطويلة الى روبرت روس الذي كان في دييب ، وقد كتب ، كما اشرنا ، هذه الرسالة في سجن ريدنك جيل ، الى اللورد الفرد دوغلاس ، لم يؤذن لروس بارسالها • وهذه في الواقع آخر عمل قام به له • فان روس ، هو الذي صاغ عنوانها المشهور (من الاعماق) ، اذ كان قد استله من مقاطعها المختارة ، حينما طبعت لاول مرة عام ١٩٠٥ اي بعد وفاة مؤلفها • وهو ايضا الذي اخذ الوثيقة معه حينما عاد الى لندن • وهنا كان قد استنسخها وفقا للتعليمات المفصلة التي تسلمها حينما كان اوسكار وايلد في سجن ريدنك جيل • ولان اوسكار كان مشتاقا او قلقا حول تطورات عملية الاستنساخ ، وحول ما اذا كانت الوثيقة جاهزة للارسال الى الفرد دوغلاس • وقد اتضح بعد ذلك مما كتبه على صورة ارسلها الى روبرت روس قبل حوالي الاسبوعين من مغادرة روس لمدينة برينفال وفي الخامس عشر من حزيران ١٨٩٧ كتب اوسكار وايلد :

« انك لم تخبرني ابدا بأي شيء حول كاتبة الطابعة ولا عن رسالتي • اتضرع اليك ان لا تحوك ضدي مؤامرات

الفصل السابع

من الاعماق

ان قصيدة اوسكــار وايلد الشهيــرة انشــودة سجن ريدنك جيل ، ولم يكتبها في السجن بالضبط كما يخيل لبعض المؤرخين • والشيء الوحيد الذي كتبه اوسكار في زنزانتــه على ورق السجون الازرق من القطع الكبير الذي كان يسمح له بورقة واحدة يوميــــا ، انما هو رسالة طويلة الى اللورد الفرد دوغلاس ، وهـــي تقـــع في (٢٥٠) مائتين وخمسين صفحة • وقد دعيت فيما بعد (من الاعماق) •

وهي العمل الادبي الوحيد الذي كتبه خــــلال السنوات القليلة الاخيرة من حياته ، الذي نتمكن من قراءته على انه نص ادبي متكامل •

لقد تساءل البعض عن صدق هــــذه الرسالة ، وشــك آخرون في حقيقة نـــدم اوسكار وايلد • واعتقد هؤلاء ان « الفنان في مواقفه » لم يتخذ قط الا موقفا آخر • ولكن من المستحيل لاي انسان غير متعصب ان يقرأها دون أن يهتــز

من أعماقه • والاعمال الكاملة المنشورة بشكلها الصريح التي لم تنشر ابدا قبلئذ ، انما هي تعبر عن الطيبة المثالية التي يتمتع بها اوسكار وايلد بالرغم من اخطائه ودناءة اللورد الفرد دوغلاس الاصيلة وانانيته وعقوقه •

حينما سلم اوسكار الرسالة الطويلة الى روبرت روس الذي كان في دييب ، وقد كتب ، كما اشرنا ، هذه الرسالة في سجن ريدنك جيل ، الى اللورد الفرد دوغلاس ، لم يؤذن لروس بارسالها • وهذه في الواقع آخر عمل قام به له • فان روس ، هو الذي صاغ عنوانها المشهور (من الاعماق) ، اذ كان قد استله من مقاطعها المختارة ، حينما طبعت لاول مرة عام ١٩٠٥ اي بعد وفاة مؤلفها • وهو ايضا الذي اخذ الوثيقة معه حينما عاد الى لندن • وهنا كان قدّ استنسخها وفقا للتعليمات المفصلة التي تسلمها حينما كان اوسكار وايلد في سجن ريدنك جيل • ولان اوسكار كان مشتاقا او قلقا حول تطورات عملية الاستنساخ ، وحول ما اذا كانت الوثيقة جاهزة للارسال الى الفرد دوغلاس • وقد اتضح بعد ذلك مما كتبه على صورة ارسلها الى روبرت روس قبل حوالي الاسبوعين من مغادرة روس لمدينة برينفال وفي الخامس عشر من حزيران ١٨٩٧ كتب اوسكار وايلد :

« انك لم تخبرني ابدا بأي شيء حول كاتبة الطابعة ولا عن رسالتي • اتضرع اليك ان لا تحوك ضدي مؤامرات

افظع · فأنا اشعر بالخوف · وعن طريق كتابة الناس الي بما يسوؤني ، يمكنني ان اعلم بالشيء الاحسن » ·

الا ان تأكيدات روس كما يظهر قــد اقنعت اوسكار وايلد · وعلى هذا الاساس ، فان اوسكار وايلد لم يعد الى الموضوع مرة ثانية في الشهر الذي تلا ذلك ، ولا في مراسلاته الطويلة التي واصلها حتى وفاته مع اي من اصدقائه المقربين، وحتى مع وصيه الادبي الموعود · ومما لا شك فيه ، انهما قد ناقشا الامر ، حينما عاد روس الى دييب ثانية · وكذلك لا توجد اية اشارة اليهما في الرسائل التي كتبها اوسكار الى الفرد دوكلاس بعد اطلاق سراحه من سجن ريدنك جيل ·

لقد اخذ العمل وقتا ما ، حتى اكتمل منذ ان اطلق روس الرسالة من بين يديه · فانه قد املى جميع الرسالة أولا ، على كاتبة الطابعة التي طبعت نسخة واحدة ، وبعد ذلك اشر على المقتطفات التي طلب اوسكار ان تستنسخ بصورة خاصة، وترسل الى قلة من الناس وهم من اقرب الاصدقاء الـى اوسكار مثل الآنسة آديلا شوستر ، وهي التي روت قصائد النثر التي سمعتها من اوسكار وايلد ، وكتبتها فيما بعد عن الذاكرة · وكانت ايضا من المحبين جدا لمسرحيات اوسكار · وان اديلا شوستر سيدة كبيرة ، زارها فيفيان هولاند ابن اوسكار وايلد عدةمرات في بيتها الجميلفي ومبلدون· وقدكان اوسكار كثيرا ما يبدي اسفه لانه لم يهد احد مؤلفاته الى الآنسة اديلا شوستر ، لذلك حينما قام روبرتروس بطبع

مختارات اوسكار وايلد لاول مرة عام ١٩٠٨ اهدى كتاب « دوقة بادوا » اليها ٠

كان روبرت روس يعتبر ان تكون طبعة رسالة من الاعماق، اساس طبعة عامة نهائية وفق تحفظات روس ٠ اما النسخ الاضافية التي طبعت فقد كانت تشمل مقتطفات معينة فقط ٠ وحينما دقق هؤلاء المقتطفات المستنسخة على اصل الرسالة ، ارسلوها الى اصحابها المشار اليهم ٠ والظاهر ان النسخة الثانية الكاملة قد طبعت عن النسخة الاصلية المطبوعة في وكالة طباعة السيدة مارشال ٠ وكان اوسكار قد كتب الى روس في العشرين من تموز ، انه : من الافضل ان تطبع في لندن ، بعد حذف اسم بوزي واسمي وعنواني منها ٠ فان السيدة مارشال يمكن الاعتماد عليها » ٠ ووفقا لرأي روس ، فقد ارسلت نسخة مطبوعة الى الفرد دوغلاس في التاسع من آب عام ١٨٩٧ ٠ وقد اشار هو الى زمن تسلمها ٠ وان هذا مهم في رأي دوغلاس الذي ينكر انه قدر رآها قط ، حتى زور محاموه نسخة ، وهم الذين اطلعوه عليها خلال المرافعات الاولى للقضية التي اثارها ضد السيد آرثر رانسوم ،ونادي الكتاب الحديث عام ١٩١٣ ٠ والظاهر ان الفرد دوغلاس في الثامن من شباط عام ١٨٩٧ قال : انني اتطلع بانفعال الى رسالة اوسكار ٠٠ واذا شرع بازعاجي فاني افضل ان لا اراها ٠٠ وارجوك ان تدعني اعرف الوقت الذي اتسلم فيه الرسالة بالضبط اذا كان ذلك بالامكان وبالبريد القادم » ٠

لقد كان اوسكار وايلد تحت تأثير انطباع صديقه قد قرأ الرسالة في الوقت الذي ارسلها روس • وظهر من اللقاء العرضي الذي حدث بين اوسكار والفرد دوغلاس بعد لقائهما فان دوغلاس كان قد لام اوسكار حول امـر ما ، فأجـاب اوسكار : انك بالتأكيد لم تقف ضدي حينما كتبت اليك وانا في السجن ، حينما كنت اتعذب وانا نصف مجنون ! يجب عليك ان تعلم اني اعني كل كلمة مما قلت » • لكن لماذا ارسل روس الى الفرد دوغلاس ، واحدة من النسختين المطبوعتين بدلا من الرسالة الاصلية التي طلب منه اوسكار وايلد ان يرسلها اليه في الاقتراح الاول ؟ ان هذا غير واضح • ولكن يمكن الافتراض انه كان في بيرينفال ، فقد يكون اوسكار وايلد قد غير رأيه وطلب من وصيه الادبي ان يحدد ارسال النسخة المطبوعة •

ان ما حدث بعدئذهو ان الفرد دوغلاس قد قرأ عـدة صفحات من أول النسخة المطبوعة التي تضمنت اقسى وأمـر اتهام لسلوكه المخادع تجاه اوسكار وايلد • فلقد شعر بالالم ، والقى بالنسخة المطبوعة جانبا • وبعد هنيهة اخذهـا ثانيـة وقرأ صفحات اخرى • كانت رسالة مقذعة الى درجة لا تطاق في نصفها الثاني ، الذي لا يقل اقذاعا وتجريحا عن نصفها الاول من الترجمة الكاملة • وبانفعالية شديدة مزق الوثيقة العدوانية • وهذا الافتراض هو ما قرر فعلا الفرد دوغـلاس وبدقة ، اذ إكد انه حينما كان مقيما في (نوجنت ــ سور ــ

مارن) تسلم رسالة طويلة من روبرت روس ، وهي التي تضمنت مقتطفات من رسالة اوسكار وايلد المعروفة باسم (من الاعماق) • فاعترف بأنه قرأ صفحات قلائل ، ثم مزق كل الرسالة وهو يعاني من الغضب الشديد ، ورمى بالقصاصات في نهر (مارن) كما جاء ذلك في مذكرات الفرد دوغلاس نفسه اذ سجلها برسالة الى مور آدي في الثلاثين من حزيران ١٨٩٧ • ومن الواضح انه حينما فعل ذلك ، انه لم يقرأ المقتطفات المطبوعة منها ، منذ ان اشار من غير شك اليها ، حينما ظهرت الطبعة الاولى • وليس تصورا ولا اختلاقا او تخيلا ان يكون قد استعرض العمل ، ولم يكن باستطاعته ان يبدي رأيه بالمطبوع ، كما فعل في وقت نشر الكتاب ، حينما كان هذا الكتاب الممتع بالذات ، الذي طبع بعد وفاة مؤلفه • وان قناعة روس دلته على ان الصديق الذي لا اسم له ، قد وضعه روس نفسه في مقدمته ، انما هو اسم روبرت روس بالذات • ان هذا ما افترض في ذلك الوقت • لكن بعد طبع الترجمة المنقحة تنقيحا مهذبا جدا ، وبالشكل الذي وضعه روس ، ادى الى اتهام روس ايضا بارتكابه خدعة ادبية كبيرة ، خاصة حينما اعلنت الحقائق حول الرسالة وشاعت بين الناس في حياة الفرد دوغلاس في فيرانسوم ، بصدد اعمال التشهير عام ١٩١٣ • وليس هناك دليل بصدد ما قام به روس سواء كان ذلك بالنسبة لقضية ارسال النسخة المطبوعة الى الفرد دوغلاس ، أم بالنسبة الى الطبع الجزئي الذي نظمه اذ ان روس لم يلتزم بالاخلاص

والوفاء اللازمين للمؤلف ولم يحقق رغباته ·

ولكن القيام بعملية النشر ذاتها ، كان رائعا · فلم تكن اشارة من روس على ان (من الاعماق) في طبعتها المهذبة تكون قد طبعت في انكلترا بعدما لا يقل عن الاربع سنوات من وفاة المؤلف · وبكلمات روس ، فان اسم اوسكار وايلد من سوء الحظ لم يوح بذكريات طيبة لدى الانكليز · فان مركزه الادبي واجه صعوبات كبيرة للصمود حتى في ذروة نجاحه في الحياة الادبية الروائية ، اذ تجاهله مواطنو السيد راسكن ، حيث اصبح من الصعب فصل الانسان عن الفنان · اما مركزه في القارة ، فقد كان يختلف تماما · فقد كان يحكم على اعمال اوسكار وايلد وهي مستقلة عن حياته وسلوكه الشخصي · ونحن قد رأينا ان تشمبرلن قد منع عرض مسرحية سالومي على المستوى الجماهيري في انكلترا ، بينما كانت تخرج فعلا فيفرنسا ، في الحين الذي كان فيهالمؤلفنزيل السجن · وفي المانيا كانت مسرحية سالومي ايضا ومسرحياته الاخريات كما كانت كتاباته النثرية والشعرية قد ترجمت في السنوات الاولى من القرن العشرين فلاقت نجاحا باهرا ، وبينما كانت كتبه في الواقع غير متناولة في انكلترا ، ومسرحياته محرمة على مسارح لندن ، فانها ايضا كانت تمثل احيانا في المقاطعات الاخرى من انكلترا لكن دون ذكر اسمه ·

ومن ذكريات فيفيان هولاند في حديثه عن رسالة ابيه اوسكار وايلد « من الاعماق » يقول :

« ان الحصول على كتب اوسكار وايلد في ذلك الوقت كان صعبا جدا · وان الطبعة الاولى من مجموعته لم تظهر ، كما ان اية طبعة مجازة لاي من اعماله لم يطبع ايضا منـــذ سنوات · والنسخ التي يمكن ان توجد في مخازن بيع الكتب القديمة ، انما هي نسخ رديئة الطبع ومزيفة وكثيرة الاخطاء، فكتبت الى اخي سيريل ابلغه باكتشافي عددا من كتب ابي ، فأجابني بارساله نسخة من كتابه ، الرسالة الطويلة (مـن الاعماق) ، فقرأتها في عيد ميلادي التاسع عشر ، اي في حدود عام ١٩٠٦ · وكما نشرت رسالة من الاعماق في عام ١٩٠٥ ، فانها كانت تتضمن مقتطفات من الرسالة الطويلة التي كتبها ابي اوسكار في سجن ريدنك جيل ، الى الفرد دوغلاس ، يبين فيها كيف ساهم دوغلاس في تلك الكارثة · وقد طبعت الرسالة بكاملها ، لكن لاسباب مذكورة في الرسالة ذاتها لم تكن تبيح طبعها في حياة الفرد دوغلاس · وتضمنت طبعة من الاعماق عام ١٩٠٥ الكثير من المقتطفات الشاعرية كما هي في الرسالة · وحينما قرأتها صعقتني لكونها ذات تكلف ملحوظ · فانا اعتقد انه كان يتعمد جمال اللغة ، كأنما كان قد كتبها من اجل الاسلوب الادبي المحض اكثر مما لو كانت تأملات مخلصة لشخص متوجع مهزوز · وبعد ذلـك بسنتين بدأت اثمن تلك الرسالة خاصة بعد ان قابلت روبرت روس ، الذي اطلعني على الرسالة الكاملة ، فاعتبرتها عندئذ ذات قيمة حقيقية ، وادركت اية قطعة من عمل ادبي رائـع هي !! واعتقد انه كان من الخطأ طبعها عام ١٩٠٥ بذلـك

الشكل المختصر المشوه، وقد كان يمكن الانتظار حتى تظهر الايام ، تلك الحكاية ٠»

وبصدد رسالة اوسكار وايلد (من الاعماق) لالفرد دوغلاس ، طلب فيفيان هولاند من أحد اصدقائه وهو جيرتز، ان يعرف شيئا عن هذه الرسالة بلسان الفرد دوغلاس نفسه، فأجابه الفرد دوغلاس برسالة هذا ملخصها :

رسالة الفرد دوغلاس

عزيزي السيد هولاند !

لقد ارسلت من اميركا نسخة من مقتطفات من الرسالة التي كتبتها الى السيد جيرتز الذي الف كتابا عن فرانك هاريس٠ انك تعتقد ان كتاب هاريس بعنوان « حياة واعترافات اوسكار وايلد » يتضمن الحقيقة عن علاقتي بأبيك ٠ فهل يجوز لي ان الاحظ اولا ، انك لست في موقف يؤهلك للحكم على تلك القضية ! فانك كنت آنئذ طفلا صغيرا ، فيما وقعت القضية ، ولم تكن لديك المعرفة الشخصية عن هذه المسألة ، وثانيا ، فان هاريس نفسه يوافق على ان حكايته عني ليست حقيقية في كل تفاصيلها تقريبا ٠ انه بالتاكيد يبالغ في دعواه، لكن الحقيقة تبقى متفقة مع اكاذيبه و« اخطائي اذا فضلت ان تدعوها انت كذلك » ، وهذه المطابقة تقوم بصورة رئيسية على قوة دليل ما كنت اقدم من المال الى ابيك في مناسبات

مختلفة • وان هذا الدليل ما زال حقيقيا ويمكن اثباته في اية لحظة •

انك تعتقد ان فرانك هاريس لم يتمكن من القدوم الى انكلترا (لاسباب سياسية) ولكن ربما انك لا تعلم ان ما منع هاريس من القدوم الى انكلترا ، انما هي اسباب لا تمت الى السياسة • لانه كان مطلوبا من قبل الشرطة • وهناك دعوى واحدة على الاقل تستلزم القاء القبض عليه واعتقاله لحظة ما تطأ قدماه ارض انكلترا •

انا لم اكترث بما قلت عن روس ، وذلك لانه غير حقيقي، الا اني اقدر مشاعرك التي تتضمن احترامك له • ولكن لا يوجد مبرر من الناحية الثانية في ان تبدي احترامك لوغد حقير مثل هاريس ، الذي سرق المسرحية من ابيك وهي مسرحية (السيد والسيدة دافينتري) • وان هاريس هو سبب وفاته التي حدثت ، وان لم يكن هو السبب الاكيد لهذه الوفاة ، فلا شك انه قد عجل فيها لما سبب له من نقمة وغضب من هاريس • وان قصة تلك العلاقة المأساوية الكاملة كتبها السيد (بيل) امين سر هاريس الخاص في ذلك الوقت، وهي القصة التي كان المفروض ان تطبع في وقت اسرع •

انا اشعر بالاسف لانك مرغم على الاستمرار على اشعال نار الحقد في قلبك ضدي • فانا كنت صديق ابيك

الحميم مثلما كنت صديق امك ٠ وقد عرفتك حينما كنت طفلاً ٠ والاسطورة التي نسجتها حولي وهي التي تتضمن علاقتي بابيك ، هي كاذبة كليا تقريبا ٠ فأنا قد هاجمت اباك حقيقة في كتابي (انا واوسكار وايلد) لكني فعلت ذلك تحت سيطرة الخوف ، الا اني الآن لا اعترف بهذا الكتاب ٠

فهل يمكن لي ان احظى بتخيلك عما تكنه لي من مشاعر عدائية سيئة ؟ اما انا فاضمر لك شعورا بالطيبة والوفاء ٠»

المخلص

الفرد دوغلاس

ومن حسن الحظ ان فيفيان هولاند ، كان يحتفظ بنسخة من الرسالة التي ارسلها الى المؤلف الاميركي ٠ فسارع فيفيان هولاند الى ارسال هذه النسخة الى الفرد دوغلاس اخبره في الوقت نفسه بأن اهتمامه الكبير انصب على الاستماع الى قصص متناقضة عديدة حول ابيه اوسكار ، كما قرأ تقارير عديدة وبلاغات ومطالعات صبت في نفسي شكوكا بالنسبة لوجود مثل هذا الشخص الذي يدعى اوسكار وايلد ! وقد اضاف انه لا يعتقد بأن اي لقاء بينه (فيفيان) وبين الفرد دوغلاس يثمر في خدمة الغرض لكونهما في معسكرين متناقضين ، وبالبعد الذي تورط فيه روبرت روس آنذاك ٠ وعن هذه الرسالة رد الفرد دوغلاس برسالة الى فيفيان هولاند :

الرسالة الثانية

عزيزي السيد هولاند

شكرا لرسالتك التي توضح بشكل مقنع كل شيء ، كما بينت بكل دقة . وان جيرتز على كل حال ، باقتباسه مقتطفات من رسالتك وتذييلها بمقتطفات من رسائله قد نجح في ابلاغ التعبير الذي اوضحته انا في رسالتي الاولى اليك ، أي تحريضك لهاريس ضدي . وان جيرتز كما تقول ، هو شخصية غامضة . وهو الذي اربكني بأسئلته التي جعلتني اشعر بالاحترام الى درجة قصوى للاجابة دفاعا عن النفس، لانه قد اعطاني الفرصة لفهمه ، وان لم اجب فانه سيضطر الى طبع مقتطف هاريس الكاذب في (المقدمة) غير المتناقضة . وقد كان من الاسلم تماما ان لا اجيبه لانه كان قد فقد كل شيء تماما ولان وجهة نظر هاريس خاطئة بكل صراحة . وعلى كل حال ، فان هذا لا يهمك طبعا وبأية حال من الاحوال . والشيء الوحيد الذي اريدك ان تفعله هو ان تكتب له وتخبره ، انك يجب ان لا تستخدم حسب الظاهر لكي يتمكن هاريس المار الذكر من استغلالك ضدي . وانا اخاف ان يكون تهديدك بطعنه في هذا البلد ، لن يمنعه من طبع رسالتك في اميركا .

هنالك شيء واحد في رسالتك لي ، اشعر بضرورة

مناقشته٠ فانك تقول : (ان تصريحاتك في العديد من المناسبات جعلت من المستحيل لاي صديق من اصدقاء روس ان يكون صديقا لك) ٠ لكن العديد من اصدقاء روس السابقين هم الان اصدقائي ٠ فهناك ريجي تيرز الذي كتب لي رسالة صادقة حول سيرتي الذاتية ٠ وهناك روي كينارد ، الذي كان مخلصا معي منذ ان رأيته مرة ثانية عام ١٩٢٥ ٠ ويمكنني ان اذكر اسماء ثلاثة آخرين على الاقل ٠ أما الاصدقاء الآخرون لروس ، فانهم قد بدلوا وجهات نظرهم منذ ان قرأوا كتابي ، ولو ان ذلك لا يريحني ٠ وانت تختلف في حالتك، مع اني لا وافق بأنه بامكاني ان افعل اي شيء بشكل خاص لا يجعلك ان تكون صديقا لي ٠»

المخلص

الفرد دوغلاس

وبعد هذا كتب فيفيان هولاند الى اميركا رسالة اخرى الى الفرد دوغلاس ، لكنه لم يتسلم اي رد على رسالته تلك٠ وفي حياة الفرد دوغلاس ظهر الكتاب الموعود عن فرانك هاريس ٠ وهذا الكتاب انما هو قطعة فريدة من الوقاحة ، ما كان يجب ان يكتبه الا هاريس حسب راي النقاد والمؤرخين الانكليز ٠

رأي الفرد دوغلاس في رسالة اوسكار وايلد

ـ من الاعماق ـ

في جزء مؤثر من الكتاب الممتع الذي ظهر بعد وفاة مؤلفه الذي صاغه على هيئة رسالة الى صديق مجهول الاسم فأن اوسكار وايلد يشير الى وقوفه في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٨٩٥ لمدة نصف ساعة على منصة كلافام ، ويداه مقيدتان ، وهو بملابس التجريم : وقد احاط به غوغاء الناس الهازئون الساخرون • فقد كتب اوسكار وايلد انه :

« لمدة سنة كاملة بعد ما حدث لي ، كنت ابكي كل يوم في الساعة نفسها وللمدة نفسها » •

كان هذا قبل ان يكتشف او يفكر باكتشاف التجارب الاليمة في السجن ، وعاره وخجله الذي هو جزء ، وجزء ضروري من حياته الفنية ، وكمال روحه الناقصة • وهكذا تعلم الخضوع في اقسى المدارس مرارة • وذلك ان (لاانسانية الانسان) علمته المذلة والاستكانة ، بعد ان تجرع كاس العذاب حتى الثمالة ، وبعد ان جرحت روحه فكتب هذا الكتاب الذي حاول فيه اقناع نفسه واقناع الآخرين انه قد تعلم عن طريق المقاساة والالم ما لم تعلمه له الحياة ولا المسرات •

فاذا عاد اوسكار وايلد الى الحياة بروح جديدة ، فلا

بد ان تكون روحا حاقدة تهفو الى تدبير المكائد البهيجـــــة واللئيمة لاعدائه القدامى من اصحاب المطابع والناشريـــن الذين نادرا ما يتمكنون من العثور على احسن مـن هـــذا الكتاب · وانا شخصيا مقتنع من انها قد كتبت بوفاء عاطفـي في وقت من الاوقات ، وهي مع ذلك تمثل مجرد مزاج وشيئا تافها للانسان الذي كتبها ، وحالة نفسية لا تنتهي في (٢٥٠) مائتين وخمسين صفحة من الكتاب · (والانكليز مولعـــون جدا بالانسان الذي يعترف بخطأه) · فجعل احدى شخصياته في (زوج مثـالي) ويقـارن نوعـا ما قيـم العـــذابات الاساسية بعلاقاتها بالموقف العام نحو ذاته · حسنا ، انــه هنا على خشبة التعذيب ، والسير كورتني هذا ايضا في الديلي تلغراف ، يبدي ولعه التام لاول مرة · واوسكـــار وايـــلد (العبقري) و (احد اعظم الروائيين الذين لا جدال فيهم في العصر الحديث ، كما هو الان ، ارحم ما يكون ، ينقلـــب بصورة استثنائية لاعترافه بخطأه ، وهو يحدثنا ان حياتـــه وفنه كانا ناقصين بدون سجنه ، لانه في السجن تعلم الخضوع والتواضع ، واكتشف مثالا جديدا من امثلة التعبير اثنـــاء العذاب · فهو قد (تطهر بالحزن ، وعوقب بالعذاب) ، ولكن ما فشل في ملاحظته السير كورتني والاخرون ، فان اوسكار وايلد نفسه قد لاحظه بعد ان كتب هـــذا الكتاب الممتع ، او بالاحرى الكتاب المؤلم العقيم ، اذ ان الحالة النفسية التـي لعبت دورا في ظهور الكتاب ، لم تكن اكثر من الاعراض الاولى من المرض العقلي والعضوي الذي سببه العذاب والحـــزن

اللذان توجا ، نهاية الاديب الموهوب السيء الحظ ، بالموت بعد سنوات قلائل ٠

وكما ظهرت روح التمرد لدى اوسكار وايلد ، كذلك ظهرت شعلة العبقرية الخلاقة ٠ وحينما تخبو روح التمرد ، فان الشعلة تبدأ بالانطفاء ، وتستمر على الانطفاء بالتدريج ، مع توقد بطيء حتى انطفائها النهائي ٠ فكتب اوسكار وايلد :

« لقد تمكنت من جعل كل شيء وقع لي ، خيرا بالنسبة لي ، فالسرير الخشبي والطعام الرديء وتمشيط الحبال الغليظة ، بنفش اصوافها حتى تتخدر اصابع اليدين من الالم، والدوائر الحقيرة التي تبدأ كل يوم ، والاوامر الصارمة ، بحيث ان الرقابة تظهر كأنما هي حاجة ماسة ، والملابس المهينة ذات المظهر المتنافر البائس والصمت والعزلة والخجل ان هذه الاشياء جميعا ، على ان احولها الى تجربة روحية ٠ وليس هناك اي تعذيب للجسد الا حولته الى وسيلة لتسامي الروح » ٠

لكن واحسرتاه ! فان السرير الخشبي ، والطعام الرديء ، والدوائر الحقيرة ، والتقاط ما يتخلف من تمشيط الحبال الغليظة لا يطهر الروح بأي شكل من الاشكال ، وهي لم تطهر روح اوسكار وايلد ٠ والتأثير الوحيد الذي مكنهم منه ، هو تحطيم ذكائه الرائع وحسه البارع بالفكاهة ٠ لكن

مع ذلك فهناك ملامح في مقتطفات متعددة تحمل روح الفكاهة بشكل غائم · وان استعادة الحرية قد اعاد له الحس بالفكاهة والشعور بالسخرية · وقد خدمه حطام ذكائه الفريد بصورة جيدة حتى اواخر ايام حياته ، مع انه قد فقد بصورة يائسة قوة التركيز الضرورية لانتاج العمل الادبي ، الا انه ظل حتى يوم وفاته المع واذكى محدث في اوربا ·

وعلى كل حال ، فيجب ان لا يفترض ان هذا الكتاب ، ليس كتابا فريدا ، ولا يستحق القراءة التأملية · ففي هذا الكتاب مقتطفات نثرية جميلة ، تورث عباراتها لذة عرضية تذكرنا بكتاب اوسكار وايلد (بيت الرمان) وقصائد النثر ، اذ نجد هنا وهناك قصيدة رائعة بشكل منقطع النظير ، كما نعرضه فيما يلي :

« هناك مسيحيون قبل المسيح · ولذلك فعلينا ان نكون شاكرين ، والشيء السيء هو انه بعد ظهور المسيح ، لم يظهر مسيحيون حقيقيون » ·

لكنه في الحق قد اتلف القصيدة البارعة باضافة «انني اضع استثناء واحدا هو القديس فرنسيس الاوسيسي»· وان التسليم باستبدادية الحقائق واهمية الاخلاص النسبية تجاه اي انسان ، انما هما ليسا من الصفات المميزة لاوسكار وايلد · وبالرغم من ذلك فان ملامح سيطرة قلمه لم تزل واضحة ، والكتاب يتضمن الكثير من الافكار العميقة ، ويدعو الى التأمل في فلسفة المسيح كما يتأملها المبشر الحديث ،

صاحب بشارة الحياة والادب · وعلى المرء ان لا يتوغل في القراءة اكثر من الصفحة الثالثة والثلاثين ، من الكتاب قبل ان يجد التناقضات الساطعة والمجفلة في الموقف العقلي للكاتب نحو قدره ، اذ انه في الصفحة الثامنة عشرة ، وفي مقاطع خطابية منمقة يتحدث عن (العار الابدي) الذي لوث به (الاسم النبيل الشريف) الذي ورثه عن والديه · وفي الصفحة الثالثة والثلاثين يحدثه (العقل)· (ان القوانين التي وقع تحت طائلتها ، هي قوانين خاطئة وجائرة ، والنظام الذي عاني منه ، انما هو نظام خاطىء وجائر) ، لكن هذه هي روح التمرد التي لم تتحطم تماما ، انه يقول لو كان قد اطلق سراحه قبل سنة ، وهذا ما حدث فعلا تقريبا ، اذ لو غادر السجن في ذلك الوقت لاعتور ذاته غضب ومرارة ، دون ان ينال كنز الخضوع و (التواضع) الذي اكتشفه اخيرا · وانا اعاني حيرة غريبة لان اعرف انه قد اصطحب معه غضبه ومرارته الى خارج السجن · وهو في الحق ما كان ليكتب هذا الكتاب لو خرج من السجن قبل سنة ، لكنه كان يمكن ان يكتب بالتأكيد العديد من المسرحيات الهزلية التي لا تضاهى · ونحن الذين نجله كفنان عظيم في الادب نرثي لانحطاطه كرجل وجه ضربة قاصمة لا يمكن تفاديها الى الادب الانكليزي ، اذ لولا هذا الانحطاط لما صفحنا عن هذه التجربة المريرة بقراءة هذا الكتاب الذي مجده المديح بعد وفاة مؤلفه ·· وهو الكتاب الذي لا يمكن ان يقاس الى المنزلة الرفيعة بالنسبة لاحسن كتبه ·

الفصل الثامن

الخاتمـة

حينما صدر الحكم على اوسكار وايلد عــــام ١٨٩٥ صدرت مقالات رئيسية في الصحف الصادرة آنئذ في انكلترا، تناولت اوسكار وايلد • فكتبت صحيفة (ايكـو ـ الصدى) اللندنية المسائية ما يأتي :

« وهكذا انتهت اتعس قضية ، فقد انتصـــر اللـــورد كوينز بيري وادين اوسكار وايلد وسحق • والشيء الحسن جدا لكل شخص الان هو ان ينسى كل شيء عن اوسكـــار وايلد •• مواقفه الخالدة ، وتعاليمه الجمالية ، ونتاجاتـــه المسرحية • دعوه يدخل عالم النسيان ، وسدوا اسماعكـــم عن اي شيء عنه » •

وفي يوم الاثنين التالي طلعت جريدة الديلي تلغـــراف بالمقالة الافتتاحية نقتطف نصوصا منها :

« ان الرجل الان يقاس من آثام حياته ، ومن الحسن ان

يسمح له الآن ان يجتاز سلم الشهرة التي كان يتعشقها ، الى اعراف الحقارة والنسيان اللتين يستحقهما • ان قبر النسيان الذي يرشح بالحقارة يجب ان يطمر تباهيه الاحمق وتبجحاته الفارغة ، وغروره المريض » •

وفي مدرسة بورتورا الملكية ازيل اسمه من لوحة الشرف •

وفي عام ١٩٣٣ اعاد مدير مدرسة بورتورا الملكية القس الموقر اي ، جي سيل اسم اوسكار وايلد الى لوحة الشرف • وفي ايلول ١٩٥٣ كتب مدير مدرسة بورتورا القس دي • ايل • كراهام الى ابن اوسكار وايلد فيفيان هولاند :

« لقد علقت الان صورة اوسكار وايلد في المدرسة ، ونحن من وقت الى وقت اخر ، نقوم باخراج مسرحياته طيلة الثلاثين سنة الاخيرة » •

اما كتب اوسكار وايلد عام ١٨٩٥ فقد كانت ممنوعة من التداول ، ومسرحياته ممنوعة من العرض على المسارح ، لذلك سكتت الصحافة عنه تماما ، حتى ظهور « انشودة سجن ريدنك جيل » عام ١٨٩٨ •

واثناء تنفيذ الحكم عليه اصابه الافلاس ، وبدأ

الطباعون والناشرون المحتالون يعيدون طبع كتبه ويبيعونها علنا غير آبهين بقوانين حقوق الطبع . ولم يكن هناك شيء يمنعهم من القيام بذلك العمل . وعهد باعماله الادبية الى السلطة الرسمية لتنظيم تصفية امواله بعد اعلان افلاسه ، وهم يعتقدون ان مؤلفاته كانت غير ذات قيمة ، ولن يقتني مثل هذه الكتب سوى الحمقى والذين لا يأبهون بتبذير اموالهم واوقاتهم ، وهم احرار في عمل ذلك .

وقد استقبلت الصحافة انشودة سجن ريدنك جيل بعد ان صدرت بعد خروج اوسكار وايلد من السجن ، بحذر شديد، الا انه ظهرت وجهات نظر جيدة تجاهها في كل من جريدة (الديلي تلغراف) و (ايكو) وهي التي سخفت وسخرت من اعماله الادبية قبل ثلاث سنوات . اما جريدة التيمس ، فقد تجاهلت القصيدة نهائيا . وفي كانون الاول من عام ١٩٠٠ وبعد يوم واحد من وفاة اوسكار وايلد كتبت جريدة التيمس مقالة طويلة في نعيه ، قرظت فيها مسرحياته بكلمات هذه مقتطفات من نصوصها :

« كانت مسرحياته مشحونة بالاقوال الطريفة ، وان ذكاءه قد منحه مركزا مرموقا في عالم الرواية .. وبنتيجة المحاكمة كانت قد منعت مسرحياته من العرض لعدة سنوات ، بينما كانت مسرحيته (أهمية ان يكون المرء جادا) تعرض في محافظات انكلترا الاخرى .

وحينما طلب (روبرت روس) من محكمة الافلاس

ان يتولى الوصاية الادبية على أعمال اوسكار وايلد ، ظهرت على وجوه اعضاء المحكمة علامات الدهشة والسخرية واكدوا له ان هذه المؤلفات لن تدر عليه اية ارباح ، لكنه مع ذلك منح هذا الحق ٠

وبمناسبة الذكرى الخمسينية لوفاة اوسكار وايلد في تشرين الثاني عام ١٩٥٠ كرس الملحق الادبي لجريدة التيمس ثلاث صفحات للحديث عن اوسكار وايلد ومؤلفاته الادبية مثمنا مكانته في الادب الانكليزي ٠

وفي عام ١٩٥٤ احتفل بالذكرى المئوية الاولى لميلاد اوسكار وايلد بمختلف الصور والاشكال ، وفي مختلف الاقطار ٠ وفي لندن بالذات وضع المجلس البلدي لوحة على الدار التي كان يسكن فيها اوسكار وايلد في شارع ثايت ٠ وعرضت في النهاية مخطوطاته وكتبه في معرض مكتبة كلية ترنتي في دبلن في ايرلندا صيف العام نفسه ٠

قصيدتا نثر لاوسكار وايلد تنشران لاول مرة

الشاعر

عاش الشاعر في الريف بين المروج والغابات ، لكنه صباح كل يوم كان يذهب الى مدينة عظيمة تقع على مبعدة

عدة أميال ، وهي رابضة فوق التلال ، وقد غطاها ضباب ازرق . وما كان يعود الا في المساء . وحينما كان يظهر الشفق الاحمر في السماء ، يتجمع حوله الاطفال والناس من مختلف الاعمار بينما هو يحدثهم عن الاشياء المدهشة التي كان قد رآها ذلك اليوم في الغابات وعلى ضفاف النهر ، وعلى قمم التلال .

كان يحدثهم ايضا عن الجنيات السمر الصغيرات ، وهي تصأصىء وتتلصص عليه ، بينما هي مختفية بين الاوراق اليانعة المخضرة على ارض الغابة .

وكان يحدثهم عن الحوريات ذوات الشعر الاخضر اللائي يطلعن من اعماق البحيرة التي تتلألأ صفحتها ، وهن يغنين له على الحانهن التي يعزفنها على قيثاراتهن .

وكان يحدثهم عن وحش السنتور الذي قابله على قمة التل ، وهو يخب ضاحكا بين سحب الغبار .

وكان الشاعر يحدث الاطفال والناس من مختلف الاعمار عن هذه الاشياء ، والاشياء الكثيرة ، وهي اكثر دهشة ، وهم يتزاحمون حوله كل مساء ، بينما يزداد الظلام حلكة ، وتنسحب انوار الشفق الداكنة .

وكان يحدثهم بحكايات عجيبة عن اشياء مدهشة يختلقها

خياله الذي افعمته الاخيلة الجميلة ٠

وفي احد الايام ، بينما كان الشاعر عائدا من المدينة العظيمة عبر الغابة ، رأى الجنيات السمر الصغيرات فعلا ، وهن يحدقن فيه وهن مختفيات بين الاوراق اليانعة الخضرة ٠ وحينما عاد الى البحيرة ، فأن الحوريات ذوات الشعر الاخضر ، طلعن من اعماق الماء المتلألىء الصفحة ، وشرعن يغنين له على الحان قيثاراتهن ٠ وحينما وصل قمة التل ، ظهر السنتور ، واخذ يمشي خببا بين سحب الغبار ، وقد انفجر ضاحكا ٠

وفي ذلك المساء حينما تجمع الاطفال والناس من مختلف الاعمار حوله تحت انوار الشفق الداكنة ، ليستمعوا اليه وهو يحدثهم عن الاشياء المدهشة التي رآها ذلك اليوم ، قال الشاعر لهم : « ليس لدى شيء احدثكم به ، لاني في هذا اليوم ما رأيت شيئا ٠ لانه في ذلك اليوم ، ولاول مرة في حياته ، كان قد رأى الحقيقة فعلا ٠ اذ بالنسبة للشاعر فأن الخيال هو الحقيقة ، والحقيقة لا شيء عنده ٠

جيزابيل

جلست الملكة على المنصة الرخامية ، وهي تتطلع الى الحقول النضرة التي تمتد محيطة بالقصر الفينان ٠ وكان شعرها الاحمر الدامي ينسدل في جدائل غليظة حول محياها

الابيض الجميل • وكانت تلف قدها من قمة رأسها ، حتـــــى قدميها برداء منسوج من الذهب ، وتزين عنقها جديلة طويلــة من الزمرد ، وهي تبرق وتلتمع في ضوء الشفق كأنها الافاعي الخضر ، وهي ترقص • وكانت يداها الطويلتان محلاتيـــن بعقود من الجوهر ، فتبدو كأنها تمثال رائع الجمال ، وهي في فتنتها وجمالها الفتاك •

كانت تتنهد من اعماقها ، ثم اطلقت تنهيدة عميقـــة ، فقال لها الملك اهاب :

« لماذا تنهدت يا مليكة الجمال ؟

الا يوجد في السماء ، ولا على الارض البتة من يستحق ان يفوز بقلبك ؟ اليس الذهب الذي يباع ويشترى هو جهـود مضنية لايدي الصناع المعدمين ؟ فأن لم يكن هناك البتة مـن تهفو اليه روحك ، أولم اكن انا الذي قد منحتك هذا الحب ؟ افلم اكن انا عبدك ، وانا ملك سوريا ؟ » •

فأجابت الملكة بصوت واهن بطيء مثل من اضنتـــه الاحزان المريرة وقد ابتلته تخمة تحقيق الملذات حتى الموت :

« ان هذا صحيح ايها الملك ! فان كل ما في الارض هـو ملك يدي من الجواهر والذهب وثياب صور الارجوانيـــة والانسجة الفضية •• والقصور الرخامية التي تعج بالعبيـد

والفتيات الراقصات · واملك حدائق الزهور واشجار النخيل وبساتين البرتقال حيث تفوح العطور الفاغمة عند الظهيرة ·

وانا امتلك الجمال التي تتأرجح بهوادجها ، وهي تعبر الصحراء الشاسعة بدون انقطاع ، وهي تحمل اثقالا من العطور والكنوز التي تدخل المسرة الى نفسي · وان كل رجل انما هو عبد لي ، لانى اتمتع بسلطان الجمال · وحتى انت ايها الملك : تسجد امامي حتى تمرغ جبينك بالرغام ، مع انك (اهاب) ملك سوريا المهيمن ·

لكن يوجد قرب قصري عريشة كرم ، تظلل المرج اليانع الخضرة ، وهنا وهناك يسجع الحمام ، وهي ملك شخص اخر ، وهذا هو سبب تنهدي » ·

فأجاب (اهاب) :

« لا تتنهدي يا جيزابيل ! ولتتأكدي جدا بان عريشة الكرم ستكون لك حيث المرج اليانع الخضرة ، والحمام يسجع هنا وهناك ، انها حقل نابوث ، حامل راية جيوشي وصديقي الحميم ، لانه انقذ حياتي مرتين اثناء القتال » ·

ثم ارسل في طلب نابوث السوري ·

ونابوث كان شابا يافعا لما يجاوز العشرين من العمر ،

وهو طيب ، لا يستحق ان ننظر اليه بريبة ، وهو يقف امـام الملك بقوته ، وامتداد قامته ٠

فأجاب الملك قائلا :

« ان الملكة ترغب في عريشة الكرم هذه ، لذلك سأدفع لك ما تستحق من النقود الذهبية والجواهر النفيسة ، بـدلا من الارض ، واعطيك اي شيء اخر تريده انت سواء كـان شيئا معنويا ام شيئا ماديا نفيسا ، لان الملكة ترغب في امتلاك عريشة كرمك » ٠

لكن نابوث قال :

« كلا ايها الملك ، فان عريشة الكرم هذه هي ارث والذي لي وهي كل ما املك ، ولن ابادلها بشيء اخر ، حتى لو وهبت لي كنوز الدنيا جميعا » ٠

عندئذ تحدثت الملكة جيزابيل بصوت منخفض رقيق ، كأنما هو نسمة رخاء في امسية من اماسي الصيف البليلة :

« لا تبتئس ايها الملك ، فان عريشة الكرم ملكه ، ويجب ان لا تؤخذ منه عنوة ، ولندعه يذهب في امان » ٠

فذهب (اهاب) مثلما ذهب نابوث ٠

ولكن في اخر النهار ، دعت جيزابيل ، نابوث ، فوقف امامها • فقالت له :

« تعال هنا واجلس بجانبي على هذا العرش المصنوع من العاج والذهب » •

لكن نابوث اجاب :

« كلا ايتها الملكة ، اذ ان هذا ما لا افعله ، لان العرش المصنوع من العاج والذهب ، هو عرش (اهاب) ملك سوريا . ولن يجلس عليه الى جانبك اي انسان عدا الملك » •

لكن الملكة قالت :

« انا الملكة جيزابيل ، آمرك ان تجلس » •

جلس الى جانبها على العرش المصنوع من العاج والذهب ، فقالت الملكة لنابوث :

« هذا كأس شراب منحوت من حجر الارجوان الفريد ، فاشرب منه ! » •

لكن نابوث اجاب :

« كلا ، ان هذا هو كأس شراب (اهاب) ملك سوريا ، فلن يشرب منه اي انسان عدا الملك وحده » ٠

لكن الملكة قالت :

« انا الملكة جيزابيل آمرك ان تشرب منه » ٠

فشرب من كأس الشراب المنحوت من حجر الارجوان الفريد ٠ ثم قالت الملكة لنابوث :

« انا الان سعيدة ، ولا يوجد احد اسعد مني على وجه الارض ٠ فهيا قبلني ! » ٠

لكن نابوث اجاب :

« انك زوجة (اهاب) ملك سوريا ، وليس من حق اي انسان ان يقبلك عدا الملك » ٠

فقالت الملكة :
« انا الملكة جيزابيل آمرك ان تقبلني » ٠

وطوقت بذراعيها العاجيتين عنقه بحيث لم يفلت منها ، ثم صرخت بصوت عال قائلة :

« يا اهاب ٠٠! يا اهاب ٠٠! » ٠

فلما سمعها الملك اقبل مسرعا ، فرأى شفتيها مطبقتين على شفتي نابوث ، وذراعيها العاجيتين تطوقان عنقه · فجن من الغضب الاعمق ، ورشق نابوث السوري برمحه ، فأسلم الروح حالا ، وسقط غارقا في بركة من دمه الذي غطى الارض الرخامية · وحينما رأى الملك صديقه الحميم قد صرع وسقط مضرجا بدمائه بعد ان قتله برمحه ، زايله عندئـذ الغضب ، وامتلأ قلبه أسى وروحه كربا ، فصرخ :

« اواه يا نابوث ! يا حامل راية جيوشي ، وصديقـــي الحميم الذيّ انقذ حياتي مرتين في القتال · لقد قتلتك بهاتين اليدين ، وهذه الدماء التي تسيل ، انما هي دماء قلبك الفتي الشجاع · فيا ليتها كانت دمائي ، وليتني كنت انا الصريـع الذي اتخبط في دمائي ، حيث أنت الآن ! » ·

واخذ الاسى يحز في نفسه بعمق ، وملأ نواحه الكون · لكن الملكة جيزابيل ابتسمت ابتسامة عذبة غريبة ، وبصوت كأنه تنهيدة نسمة رخاء وهي تهب في أمسية من أماسي الصيف الوسنانة ، ثم قالت :

« كلا ايها الملك ، فان نواحك جنون ، ودموعك عبـث ، وحري بك ان تضحك لان عريشة الكرم ، حيث المرج اليانـــع الخضرة ، وحيث يسجع الحمام هنا وهناك ، اصبح ملكـا خاصا لي » ·

المراجـــع

٣ ـ صورة دوريان كراي : اوسكار وايلد ترجمة د · لويس عوض ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ·

٤ ـ شبح كانتر فيل : اوسكار وايلد ترجمة د · لويس عوض ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ·

٥ ـ مروحة الليثيل وندرمير : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس ـ روائع المسرح العالمي ـ القاهرة ·

٦ ـ اهمية ان يكون الانسان جادا : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس ـ روائع المسرح العالمي ـ القاهرة ·

٧ ـ زوج مثالي : اوسكار وايلد ترجمة عباس يونس ـ مجموعة الالف كتاب ـ ١٩٦٧

٨ ـ امرأة غير ذات قيمة : اوسكار وايلد ترجمة خيري حماد ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ·

٩ ـ سالومي : اوسكار وايلد ترجمة خيري حماد ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ·

فهرســت

الصفحة

هذا الكتاب

ان تراث الفكر السياسي الذي كان قد اكتسبه اوسكار وايلد من بيئته ، لا شك لم يكن عديم الاثر في تكوينه النفسي والاجتماعي والسياسي · فان ايرلندا كانت وما زالت تعتبر نفسها مهضومة الحقوق بالنسبة لانكلترا · وهذا ما خلق الروح الثورية عند الايرلنديين عامة · وليست السخرية والنقد الاجتماعي الا صورة من صور هذه الروح الثورية التي كان ابرز اشخاصها من الادباء والمفكرين برنارد شو وجيمس جويس ثم اوسكار وايلد · وبالاضافة الى ذلك فان ام اوسكار وايلد نفسها كانت شخصية سياسية وذات قلم سياسي سيال ·

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت - لبنان

الثمن :
أو ما يعادلها